٧٤٨٨
١٠٩٤١٥
٢
١٧٩

# البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

العـــــدد الثالث — المجـــــلد ٣٨

ذو القعـــــدة ١٤١٣هـ — ابريل و مايو ١٩٩٣م

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء

72336 — 73864

REGD No LW /NP 59

MAJALLAH **ALBAAS-EL-ISLAMI** ( MONTHLY )

MARCH — APRIL — 1993

صدر حديثاً :

المَلك الصالح المُصلح

## السُّلطان محيُّ الدّين اورنگ زيب عالمگير

حملة الأمير الأثورية المغولية الكبيرة الممتدة

من شرقي الهند إلى غربي أفغانستان

حياته الدينية الزاهدة، أعماله الإصلاحية الحاكمة

ومآثره التنظيمية والإدارية والتدوينية

---

قطعة ملتقطة من كتاب

"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"

للعلامة الشريف عبد الحي الحسني رحمه الله

---

قام بالنشر

دار نشر دارة الشيخ علم الدين برلي (الهند)

المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

قام بالنشر و التوزيع شاهد حسين ( مؤسسة الصحافة و النشر ) ندوة العلماء

رئيس التحرير سعيد الأعظمي

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٢٧٥هـ

# البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الثالث - المجلد الثامن و الثلاثون

ذوالقعدة ١٤١٢هـ-أبريل ومايو ١٩٩٢م

المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box, 93,. Lucknow (INDIA)

## إلى إخواننا القراء الكرام

إن مجلتكم « البعث الاسلامى » تجتاز الآن عامها الثامن و الثلاثين ، و ذلك بتوفيق الله تعالى وحده ، فنحمد الله تعالى على ما أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة البعث الاسلامى ، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة فى الظروف القاسية التى تجتازها الأمة الاسلامية ويتعرض لها المسلمون فى كل مكان ، نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى تتحمله الآن .

و على ذلك قررنا زيادة فى قيمة الاشتراكات ، رجاء أن تكون فى صالح المجلة .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

**الاشتراكات السنوية :**

★ فى الهند : مأة روبية

ثمن النسخة عشر روبيات :

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٦ دولاراً بالبريد الجوى .

**عنوان المراسلات :**

مكتب البعث الاسلامى ،

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ ( الهند )

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o, NADWAT UL ULAMA
P, O, Box : No. 93,
Lucknow. ( INDIA )

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

# في هذا العدد


**الافتتاحية :**

مستقبل المسلمين في العالم ؟ — سعيد الأعظمي ٣

**التوجيه الإسلامي :**

نظرات في سنن أبي داؤد — سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ٨

مظاهر الغزو الفكري . — د/ أحمد عبد الرحيم السايح ١٧

**الدعوة الإسلامية :**

المسلمون يمتحنون — د/محمد بن سعد الشويعر ٢٦

التوحيد والشرك وأقسامهما — الأستاذ محمد جنيد الجاتكامي ٤٠

الإيمان الصحيح الذي نريده — فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر بن مفرح ٤٥

**دراسات و أبحاث :**

التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس — د/عبد الحليم عويس ٥٣

الفرق بين القرآن الكريم والحديث بقسميه — الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي ٦١

**الفقه الإسلامي :**

بحث في التقليد والتلفيق — فضيلة الأستاذ خالد سيف الله رحماني ٦٦

---

البيئة التي نشأ فيها البحتري — الأستاذ محمد صهيب الصديقي ٧٥

**رجل فقدناه :**

محدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي رحلاته العلمية — سعيد الأعظمي ٨٦

**صور و أوضاع :**

موقف جديد للاعلام إزاء مآسي المسلمين — واضح رشيد الندوي ٩٥

**في ذمة الله :**

إلى رحمة الله تعالى : — قلم التحرير ١٠٠


بسم الله الرحمن الرحيم

## الافتتاحية :

# مستقبل المسلمين في العالم

يبدو أن القوى المعادية بجميع قطاعاتها ومعسكراتها وأنظمتها مكبة على إبادة المسلمين في العالم كله ، فقد كان أهلها يستخدمون وسائل الغزو الفكري المنوعة لتغيير الفكر الديني والعقدى للمسلمين ، ولقطع صلتهم عن منبع قوتهم ومصدر توجيههم ، وصهرهم في بوتقة التحرر والانطلاق ، ولتحقيق هذا الغزو عملياً وتنفيذه في الواقع الاجتماعي لدى المسلمين جاءت الحضارة الغربية بفلسفتها وأفكارها وأساليبها المادية واسترعت انتباه المسلمين وبهرت عيونهم بوجه عام ، مما جعل طبقة منهم في كل مكان ترى إليها بنظرة كلها إعجاب وتقدير ، وتعتبرها أفضل حضارة تجمع بين أساليب العمل وزخرفة المظاهر ، وتشق الطريق للإنسان إلى التقدم في مجالات الحياة المختلفة من التعليم والتصنيع والرفاهية والترف المادي .

وُجد في هذه الطبقة من المسلمين عدد كبير من المثقفين الذين صاغوا حياتهم في قالب الحضارة الغربية فكرياً وعملياً ، وأصبحت فكرتهم عن الدين الإسلامي متغيرة ، فكانوا لا يرون إلى الدين إلا من خلال المنظار الحضاري الجديد ، فيفصلونه عن صميم الحياة ويخصصون له ركنا ينزوى فيه ، ولا يبرز منه إلا في مناسبات دينية خاصة يحتاج فيها الإنسان إلى إجراء بعض الطقوس والعادات التي لا تتم إلا بالدين .

هكذا كان لهذا الغزو الفكري والحضاري دوره في تغيير فكر المسلمين وإضعاف صلتهم بالعقيدة والإيمان ، واستمر على ذلك إلى مدة طويلة ، ولكن التجارب التي أجريت في هذا المجال أثبتت في الفترة الأخيرة للتاريخ أن هذا الغزو الحضاري والفكري قد أخفق في منح الإنسان ما

يفتقر إليه من أمن وهدوءٍ ورفاهية في الحياة والمجتمع وأفلس في القيم والمثل العليا .

حيث إن أنصاره طفقوا ينسحبون عن ساحته ويتوانون عن تأييده ونصره ، فكان ذلك مؤشرا على أن هذا الأسلوب قد فقد غناءه في فصل الدين عن الحياة واعتباره قضية خاصة لا مساس لها بالشؤون الاجتماعية والسياسية ، كما تم له في الماضي .

من هنالك وبعد انقطاع الأمل في تضليل المسلمين بهذا الأسلوب الشامل من الغزو الفكري والحضاري ولا سيما بعد التجارب المريرة التي اجتازتها الشيوعية في مهدها وبعد انذياب فلسفتها في أجواء الاتحاد السوفياتي الذي ذهب ضحية الشيوعية ودفن في مهده ، تنبه زعماء الغزو الفكري إلى أنه قد صلد زنده ولم يعد له تأثيره المطلوب في العالم المتغير الذي تطور فيه العلم وتثقف فيه الإنسان ، وتوصلوا إلى أمضى سلاح وأسرع طريق في إزاحة المسلمين عن مكانة العز والسيادة ، وذلك هو طريق التصفية الجسدية بالهجوم المسلح المباغت وقتل الأرواح وانتهاك الحرمات وهتك الأعراض أو بإهانة مقدساتهم وشعائرهم والمنع عن أداء مسئوليتهم في سبيل الحفاظ على الإيمان ونشر تعاليم الإسلام والقيام بالدعوة والتربية والتوجيه بوسائلها المعروفة ، وبتعبير آخر : انتقلوا من أسلوب الغزو الفكري إلى أساليب العنف والكراهية ونفّذوها في كثير من الدول التي سكانها مختلطون ويعيش فيها المسلمون مع غير المسلمين أو يعانون فيها من محن وكوارث طبيعية وغير طبيعية ، ذلك كالصومال وفلسطين المحتلة والبوسنة والهرسك والهند بعد هدم المسجد البابري ودول مسلمة عديدة أخرى ، فإن الأحداث التي مرت على مجتمعات المسلمين في هذه الدول كانت أشد من المآسي الإنسانية التي يحكيها التاريخ وتقشعر من مجرد سماعها الجلود .

والذي يجرى الآن في هذه الدول من نكبات ومحن فرضت على سكانها





المسلمين ، ليس إلا جزءاً من هذه المسرحيات التي ابتدعوها لتصفية المسلمين وإذابة وجودهم الإسلامي ، فذلك أخصر طريق من الغزو الفكري الذي يجتاز بمسافات طويلة ويمر بطرائق ملتوية ، ثم يأتي بنتائج لا تكون مضمونة مائة في المائة ، بل وقد يكون باعثاً على مزيد من التصلب في الدين والعقيدة ، وحتى إن عدداً من القائمين بهذا الغزو والمتشددين فيه هُدوا إلى الإيمان بالله ورسوله ، واعتناق الدين الإسلامي بغاية من الاقتناع وارتياح الضمير .

إن الأنشطة المعادية لحاربة المسلمين التي كانت تتم بالأساليب الأكاديمية والعلمية ، وباسم الاستشراق ، الذي كان قوياً نشيطاً في فترة ماضية من التاريخ ، كانت تتطلب الصبر والانتظار ولم تكن ذات تأثيرسريع ، فاكتشف الخصوم الدهاة طريقاً أسرع فاعلية وأنجع مكيدة ، وهو ما سموه بالاستعمار ، ويعني ذلك استعباد الشعوب المسلمة بوجه خاص وفرض السيطرة والحكم على بلدانهم ، وإخضاعهم لسياستهم الاستعمارية في كل شأن من شئون الحياة ، ولكن ذلك لم يدم إلى مدة طويلة ، فسرعان ما تنبهت الشعوب المسلمة على مكانتها ، وقوى لديها الشعور بالعبودية والخضوع للحكم الأجنبي ، وهنالك بدأت مشاعر الحرية والاستقلال تنمو في هاتيك الشعوب وتحولت أخيراً إلى حرب تحرير خاضها المسلمون في الدول المستعمرة ولم يتوقفوا عنها ما لم يتم الاستقلال ورحيل الاستعمار بخيله ورجله من بلدانهم .

ولما طُوي بساط الاستعمار الأجنبي في بلدان المسلمين ، وانقرض عهد الاستعباد السياسي لشعوب العالم ، وتحررت بلدان المسلمين شرقاً وغرباً من براثن الحكم الأجنبي ، استقل الفكر الديني وتمتع بالنمو والقوة في مجتمعات المسلمين ، وعادت الثقة بالدين إلى نفوسهم واستقرت في أعمالهم وأفكارهم ، وهنالك كانت صحوة إسلامية شملت جميع بلدان ومجتمعات المسلمين ، وأصبح لها تيار يغشى الأجواء ، ويجرف الأهواء ، ويهدد بذهاب ريح القوى المعادية التي تشكلت بأشكال منوعة ملونة من

النظريات والفلسفات والحضارات والأنظمة الباطلة ، والتي قامت كمعاول الهدم والتخريب ضد المسلمين إلى مدة طويلة .

فكان الانتقال من هذه الطرق والأساليب إلى اختيار وسائل العنف والتصفية السريعة أنجع علاج لهذه الصحوة الإسلامية العارمة ، وقد تم تنفيذها في الفترة الماضية القريبة في مجاعة الصومال و إبعاد الفلسطينيين المسلمين ورميهم إلى مكان بعيد لا تتسنى منه العودة ، بدون أوى ومرافق إنسانية ، والغارة على المسلمين في البوسنة والهرسك من غير هرادة ولا رحمة ، وتدميرهم كلياً ، وكذلك إبادة المسلمين باسم الاصطرابات في الهند ، على أيدى المتطرفين الذين ينادون بطرد المسلمين ويسمونهم « غزاة أجنبيين » .

في هذه المحاولات وبين تيارات جارفة من المخططات الإبادية الشاملة أصبح المسلمون « أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام » وذلك يتطلب منهم موقفاً إيمانياً صارماً وجراءة خلقية كاملة وقدوة دينية خالصة ، حتى يتسنى لهم البروز من هذه المحن والكوارث كالابريز الخالص من النار ، ويندحر أعداؤهم في هذه الأساليب العفنة - بمشيئة الله تعالى- كما أخفقوا في المخططات السابقة .

لذلك فإن المسلمين في العالم كله مسئولون عن العودة الكاملة إلى الدين الخالص والقيام بتعريف الإسلام إلى الذين لا يعرفونه ، وتمثيل الحياة الإسلامية الكاملة في جميع قطاعات الحياة والمجتمع بالسلوك والعمل ، وبذلك يتحقق فيهم وعد الله بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين المرتضى لهم وتبديل الخوف أمناً . ألم تروا كيف يقول الله تعالى وهو يخاطب الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ويعطيهم الوعد والضمان :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكِّننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدِّلنَّهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

سعيد الأعظمي



# التوجيه الإسلامي

# نظرات في سنن أبي داؤد

الحلقة الرابعة

لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

عرض وتعليق : بلال عبد الحي الحسني الندوي

في سنة ١٣٢٥هـ حين بلغ الشيخ أربعاً وستين سنة من عمره ، جاء الوقت الموعود المقدر لتأليف هذا الكتاب ، فذكر أمنيته القديمة التي لم تفارقه مدة حياته الدراسية والتأليفية لتلميذه الذي ظهرت عليه آثار النجابة والنبوغ واختص بالشيخ اختصاصاً لم يكتب لغيره ، وهو العالم الناهض محمد زكريا (١) (ابن ضديقه مولانا محمد يحيى الكاندهلوي) الذي تخرج من المدرسة حديثاً وعين مدرساً صغيراً فيها ، وذكر أنه لا يزال عنده حنين كامن لتأليف هذا الكتاب ، إلا أن الأسباب لم تتهيأ له ، وقد وهنت قواه وضعف بصره ، وكان أكبر الاعتماد في إنجاز هذا العمل على والده العظيم الشيخ محمد يحيى (٢) الذي رزق قسطاً من الذكاء وحسن الملكة في علم الحديث ، وكان من أنجب تلاميذ الشيخ الإمام المحدث مولانا رشيد أحمد الگنگوهي (٣) وكان شديد التجاوب معه ، عجيب التوارد في المباحث العلمية ، والمسائل الغامضة الدقيقة خصوصاً في تطبيق الحديث والفقه ، وبيان الحجج والدلائل للمذهب الحنفي وقد توفي - رحمه الله - في سنة ١٣٢٤هـ ، ففقد لوفاته العضد الأيمن والمساعد الأكبر ، وحزن عليه حزناً شديداً لخسارة العلم ورزيئة صناعة

(١-٢-٣) مضت تراجمهم .





التعليم فيه ، وكان دائماً يشعر بمكانه الشاغر وقال له وهو يمشي معه مرة : إذا ساعدتني أنت وزميلك حسن أحمد (١) في تأليف هذا الشرح فلعل ذلك يحقق أمنيتي .

ولما وصل الشيخ الكبير إلى هذه النقطة من حديثه اهتز له تلميذه النجيب وصادف ذلك رغبة ملحة دفينة في نفسه في الحرص على خدمة الحديث الشريف والمثابرة عليه ، والتفاني فيه ، وإفناء العمر والقوى في سبيله ولم يكن يجد لذلك سبيلا ولا يصدق أنه ممكن ، لأنه الآن في الشوط الأول من التدريس ، فمتى يصل إلى الاشتغال بكتب الحديث وكيف تتأتي له هذه الفرصة ؟ فكان قد دعا الله مخلصاً ومبتهلاً حين قرأ فاتحة الفراغ على والده وأستاذه ، أن لا ينقطع عن الاشتغال بالحديث ويظل حياته عاكفاً عليه بالتدريس والتأليف ، فكأنما تكلم الشيخ على لسانه ، وعبر عن جنانه ، وتحقق حلمه اللذيذ الذي كان يراه بعيد المنال وضرباً من المحال ، فلم يتمالك نفسه وانفجر قائلاً « هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً » ولعل الله أجاب دعائي وقص عليه القصة بطولها وفرح الشيخ ودعا له بالتوفيق ، وأملى أسماء كتب يستعان بها في هذا الموضوع ، وابتدأ العمل من غد ، وكان ذلك لليلة خلت من ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة وألف .

وكان منهج التأليف أن الشيخ كان يرشد إلى مظان الموضوع في الكتب التي جمعت وتوجد في مكتبة المدرسة وكان التلميذ يجمع المواد العلمية وما كتبه المتقدمون من الشراح والمؤلفين ويقرأها على الشيخ فيختار منها ما يستحسنه ، ويملي الشرح ، واستمر العمل ، والشيخ لا هم له ولا

(١) كان من تلاميذ الشيخ الأذكياء المرجوين ومات شاباً - رحمه الله - .

لذة إلا في هذا العمل الذي يعده من أعظم القربات ومن أفضل العبادات ، والتلميذ لا شغل له - إلا ساعات تمضى في دروس معدودة - إلا مطالعة الكتب وجمع المواد وعرضها على الشيخ .

ومضت على ذلك تسعة أشهر ، وتم شرح الجزء الأول في سلمخ ذي القعدة ١٢٣٥هـ ، وكان الشيخ قد ملكته فكرة هذا التأليف وتغلغلت في أحشائه ، وخالطت لحمه ودمه ، وسيطرت على مشاعره وتفكيره وذوقه ، حتى كان آخر ما يفكر فيه قبل النوم وأول ما يهتم به عند اليقظة ، وحق له أن ينشد بلسان الشاعر الحماسي .

أ آخر شئ أنت في كل هجعة ؟ و أول شئ أنت عند هبوبي

ولا يفهم ذلك إلا من أكرمه الله بالغرام بمبدأ سامٍ ومقصد رفيع ، فكان ذلك عنده مقياس الرضا و وسيلة القرب ، فبمقدار غناء الرجل في هذا العمل وإعانته عليه ومساهمته فيه ، كان حظياً عنده ، وجيهاً في عينه ، وقد عرف الناس ذلك وانتفعوا به ، وتقربوا بسببه إليه ، ذكرني هذا بما ذكره القاضي ابن شداد (١) عن السلطان صلاح الدين الأيوبي (٢)، يقول :

(١) هو أبو المحاسن يوسف بن رافع القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد (٥٢٩-٦٣٢هـ) برع في الحديث والتفسير والأدب كان من ندماء السلطان صلاح الدين الأيوبي وخواصه سمع السلطان منه الحديث و ولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس ثم اتصل بعد وفاة السلطان بخدمة الملك الظاهر وحل عنده في رتبة الوزارة ، ألف في سيرة السلطان وسماه (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) وهو خير مرجع في سيرة السلطان .

(٢) هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي الملك الناصر (٥٣٧-٥٨٩هـ) نصر الله به الإسلام والمسلمين ورد غارة الصليبيين واسترد بيت المقدس بعد ما بقي في أيدى النصارى تسعين سنة وخلص مصر من دولة العبيديين الملاحدة إلى غير ذلك من المفاخر والمآثر التي قلما اتفقت لغيره بعد عصر الخلفاء الراشدين . (وفيات الأعيان لابن خلكان : ١٢٩/٧، السلطان صلاح الدين الأيوبي ، للعلامة أبي الحسن الندوي) .





« ولقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءاً عظيماً ، بحيث ما كان له حديث إلا فيه ولا نظر إلا في آلته ، ولا كان له اهتمام إلا برحاله ، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه » .

« وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد » (١) .

ومن يقرأ كتب التراجم والطبقات يرى أمثلة هذا الشغف والاستغراق عند كثير من العلماء و المؤلفين و العظماء و المصلحين في مشاربهم وأذواقهم .

وإذا استولى هذا الحب على إنسان وجرى منه مجرى الروح والدم أتى بالعجائب ، وكان مصدر إلهام وتوجيه ، وقد وقع للشيخ بعض حوادث غريبة فمنها أنه رأى مرة فيما يرى النائم كأن منبهاً ينبهه على خطأ في هذا الشرح ، وقد فرغ منه فلما استيقظ دعا تلميذه الشيخ محمد زكريا وأخبره بهذه الرؤيا ، ولما راجع هذا المقام وجد أن فيه خطأ فأصلحه .

وكان العمل قائماً على قدم وساق وكان الشيخ منصرفاً إليه بقلبه وقالبه ، وتلميذه مقبلاً عليه بجميع قواه ومواهبه ، إذ عرضت للشيخ رحلة إلى الربوع المقدسة ، مهبط الوحي ومدرسة الحديث الأولى ، وأبدى التلميذ رغبته - بما رأى من حرص الشيخ على إتمام هذا الكتاب وضعفه وعلو سنه - في المرافقة ، فقبلها الشيخ مسروراً وأمل في تمام هذا العمل ، وتوجه على بركة الله إلى الحرمين الشريفين وذلك في شهر شوال سنة ١٣٤٤هـ ، ولم يزالا مكبين على إتمام هذا الشرح ، منقطعين إليه لا يتخلله إلا العبادة والفرائض الدينية والأمور الطبيعية ، وكان الشيخ له

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : ص/١٦ .

دعوات ثلاث ، وأمان عزيزة ، لا يعدل بها أمنية ، أولاها : أن تقوم في الحجاز حكومة إسلامية مستقرة ، ويسود في ظلها الأمن والسلام وتستقر الأمور ، والثانية : إكمال بذل الجهود ، والثالثة : أن يوافيه الوقت الموعود في مدينة الرسول -ﷺ- ويدفن في البقيع ، وقد أجاب الله دعواته الثلاث التي دعا بها على الملتزم وحقق هذه الأماني كلها .

ولثمان بقين من شعبان (٢١ شعبان) سنة ١٣٤٥هـ تحققت أمنيته الكبرى التي غذاها بدم قلبه فتم الشرح ، وقد كانت مدة تأليفه عشر سنوات وخمسة أشهر وزادت عليها عشرة أيام وتم الكتاب في خمسة مجلدات كبار وفي ألفين من الصفحات بالقطع الكبير ، فكان له يوم عيد ، بل يوم ما جاء عليه يوم هو أكثر فرحاً وسروراً فيه من هذا اليوم ، فعين يوماً (وهو يوم الجمعة ٢٣ شعبان سنة ١٣٤٥هـ) لضيافة علماء المدينة وأحبته وأصدقائه ، شكراً لله تعالى وإبداءاً لسروره وفرحه ، وصنع طعاماً كثيراً على طريقة أهل الحجاز وأخبر تلاميذه ومريديه وأحبته في الهند بهذا الموعد المبارك ليشاركوه في السرور والشكر .

وقد وهب المدرسة حقوق هذا الكتاب تنتفع به وهي صاحبة الامتياز في طبعه وقد طبع مرتين ، وهذه هي الطبعة الثالثة بالحروف العربية للمرة الأولى مع زيادات وإفادات مهمة للشيخ محمد زكريا الذي كان له النصيب من أول عهد تأليف هذا الكتاب ، نسأل الله أن ينفع به طلبة العلم ويجعله ذخراً له في الآخرة وذكراً في الدنيا وصدقة جارية وباقية صالحة .

وكلمة عن خصائص هذا الشرح والتزامات المؤلف التي التزمها وعني بها عناية خاصة ونؤثر الإجمال والإشارة فإنما يعرف فضل هذا المجهود





العلمي من باشر تدريس هذا الكتاب مدة طويلة وعرضت له مشكلات فنية .

فمنها أن المؤلف اهتم بأقوال الإمام أبي داؤد صاحب الكتاب وكلامه في الرواة أو في إيضاح بعض ما ورد في الحديث اهتماماً كبيراً .

ومنها أنه اهتم بتصحيح نسخ السنن المختلفة المنتشرة ويراه القارئ كمثال في باب افتتاح الصلاة في حديث أبي حميد الساعدي .

ومنها الاهتمام البالغ بتخريج التعليقات والفحص عنها في كتب أخرى وذكرها ، وإذا لم ينجح في ذلك بعد التتبع البليغ صرح بذلك في غير تردد .

ومنها تطبيق الروايات بالترجمة وقد ظهرت في ذلك دقة فهمه وطول تأمله وحيث تكررت الأبواب دفع ذلك وذكر حكمة هذا التكرار ، ونضرب له مثلا : باب صفايا رسول الله -ﷺ- من الأموال وباب سهم الصفي ، فليراجع في كتاب الخراج والفيئ والإمارة .

ومنها أنه حكم في ما اختلف فيه الشراح بما يشرح الله له صدره وفتح عليه وتكلم بكلام فصل يثلج الصدر ويحل العقدة .

ومنها أن أكثر الكتب التي ألفت في الهند في شرح كتب الحديث أو في إثبات المذهب الحنفي وفي مسألة خلافية ، كان يغلب عليها في العهد الأخير الأسلوب الكلامي والاستدلال العقلي ، وتكثر فيها اللطائف العلمية ومع الاعتراف بقيمتها العلمية والكلامية وحسن قصد المؤلفين وعلو كعبهم في العلم يؤخذ عليها أنها لم تكن على طريقة المحدثين وشراح الحديث المتقدمين ، ويقل فيها الكلام على الرواة والجرح والتعديل وعلل الحديث وطبقاته وإلى غير ذلك من المباحث الحديثية ، ويستثنى من ذلك كتابان من تأليف علماء المذهب الحنفي في الهند في العهد الأخير ، أولهما: « كتاب المحلي شرح المؤطأ » للشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام الدهلوي

الرامفوري (١) ، وثانيهما : « آثار السنن (٢) والتعليق الحسن على آثار السنن » للشيخ العلامة ظهير حسن النيموي البهاري الهندي (٣) .

أما هذا الشرح فيمتاز بأنه كتب على نهج المشتغلين بالحديث والباحثين فيه وكبار الشراح الذين تلقت الأمة شروحهم بقبول عام وانتفع بها طلبة العلم في كل عصر ، واشتمل على بحوث قيمة في أسماء الرجال وأصول الحديث ، وعارض مؤلفه الحجة بالحجة ، وكان كلامه في أكثر الأحيان محدوداً في صناعة الحديث ومتعلقاتها من الفنون .

وقد استفاد المؤلف في هذا الشرح بتحقيقات شيخه الإمام المحدث مولانا رشيد أحمد الگنگوهي التي جاءت في دروسه ، وضبطها وقيدها تلميذه النابغة الشيخ محمد يحيى وكان من خصائصه أنه يتحرز بقدر الإمكان عن نسبة الخطأ إلى الراوي ، وإذا التجأ إليه الشراح ولم يروا من ذلك بداً فضل الشيخ العلامة تأويل ذلك بما يسيغه الفهم ويقبله العاقل المنصف ، ومثال ذلك الروايات التي جاء فيها وضع الخاتم ، فقد ذهب

---

(١) هو الشيخ العالم المحدث سلام الله بن شيخ الإسلام بن فخر الدين الدهلوي أحد كبار العلماء كان من نسل الشيخ عبد الحق الدهلوي ، دخل رامپور في عهد فيض الله خان أمير تلك الناحية وانتفع بصلاته ، له مصنفات ممتعة أشهرها الكمالين على الجلالين والمحلى شرح المؤطأ ورسالة في أصول الحديث وغيرها ، توفي سنة ١٢٢٩هـ أو ١٢٢٢هـ (نزهة الخواطر : ٢٠١/٧) .

(٢) مع الأسف أن الكتاب من أول أبواب الطهارة إلى آخر أبواب الصلاة ، ولو تم لكان عملاً جليلاً .

(٣) هو الشيخ العلامة ظهير أحسن بن سبحان علي النيموي العظيم آبادي ، ولد ونشأ في بلدته ثم سافر إلى لكناؤ وقرأ على العلامة عبد الحي اللكنوي وعلى غيره من العلماء واشتغل بقرض الشعر مدة طويلة ثم وفقه الله لخدمة الحديث الشريف فشمر عن ساق الجد وصنف « آثار السنن » وهو كتاب نادر غريب ، ثم علق عليه وسماه « التعليق الحسن على آثار السنن » وله غير ذلك من المؤلفات النافعة ، توفي سنة ١٣٢٥هـ (نزهة الخواطر : ٢٠٦/٨) .





جميع المحدثين إلى أنه وهم من الزهرى ولكن مؤلف « بذل المجهود » أول ذلك تأويلا حسناً وهو مقتبس من كلام الشيخ الگنگوهي ، فليراجع في « باب الخاتم يكون فيه ذكر الله تعالى » في كتاب الطهارة .

ومنها لطائف الاستنباط التي احتوى عليها هذا الشرح ويراها القارئ منثورة في ثنايا هذا الكتاب .

ومن المباحث اللطيفة التي ظهرت فيها سلامة فكر المؤلف واطلاعه الواسع على كتب الحديث مسألة القسامة ويزول بكلامه اختلاف الروايات .

وكذلك من محاسن الكتاب ومن مواضعه المهمة التي ظهر فيها جهد المؤلف وإمعانه أحاديث الفتن والملاحم ، وقد اجتهد في تعيين هذه الفتن التي أشير إليها في هذه الأحاديث ، واهتم بترجيح الراجح وعين بعضها باجتهاده واستقصائه ويرى القارئ مثاله في شرح كلام قتادة حيث جاء في الكتاب « وكان قتادة يضعه على الردة التي في زمن أبي بكر على أقذاء ، يقول : قذى وهدنة ، يقول : صلح على دخن على ضغائن » (١) .

وقد أشار في شرح حديث إلى فتنة الشريف حسين بن علي ، فليراجع ذلك في حديث عبد الله بن عمر الذي جاء فيه : « ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع (٢) » وذكر ذلك في تفصيل و وضوح ، ويظهر في كلامه في مثل هذه المناسبات ثقته بتحقيقه وجزمه بما توصل إليه في البحث والتأمل ، ولا يغلب عليه التواضع والتردد فيبعث هذا الجزم الثقة واليقين في نفس القارئ ، وهذا من سياسة التعليم وحكمة التربية ومن محاسن الشرح .

وقد يتردد الشارح في صحة لفظ ورد في حديث ، فيجتهد في تحقيقه

---

(١) بذل المجهود كتاب الفتن : ١٤٠/١٧ .

(٢) بذل المجهود كتاب الفتن ١٢٤/١٧ ، طبع دار البيان للتراث القاهرة .

اجتهاداً بالغاً ولا يدخر جهداً ويرى القارئ نموذج ذلك في « باب عبيد المشركين يلحقون بالمسلمين فيسلمون » في كتاب الجهاد ، فقد ورد في متن الحديث عن علي بن أبي طالب قال خرج عبدان إلى رسول الله -ﷺ- يعني يوم الحديبية قبل الصلح وقد أطال الشارح الكلام في وقوع القصة يوم الحديبية ، وأثبت أن هذه القصة وقعت في غزوة الطائف وقال : لقد تحيرت في هذه القصة التي قد وقعت في حديث أبي داؤد والترمذي والمستدرك في الحديبية ، فالظاهر أن الذي ذكر في أنها وقعت في الحديبية غلط من بعض الرواة بثلاثة أوجه .

وذكر هذه الأوجه بتفصيل ، وذكر أن لفظ الحديبية ليس من علي بن أبي طالب بل من بعض الرواة ، لأن في لفظ الرواية لأبي داؤد زاد لفظ « يعني قبل يوم الحديبية » فهذا يدل على أن لفظ الحديبية ليس في أصل السند بل زاده بعض الرواة على ما فهم من لفظ شيخه ، ولو سلم أن هذه القصة وقعت في الحديبية أيضاً فالمراد بقوله ناس من بعض الكفار من قريش الذين كانوا موجودين هناك لا الصحابة ، إلى آخر كلامه ، فليراجع ، وهذا تحقيق شريف خلت عنه الشروح .

ونقتصر في هذه العجالة على هذه الإشارات ، و نحيل القارئ الذكي إلى مطالعة أصل الكتاب بانعام النظر ، فكما قال الشاعر :

في طلعة الصبح ما يغنيك عن زحل

ونسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الأثر العلمي الجليل ويحبب به السنة والحديث ، إلى نفوس القراء ويلهم العمل به ويرفع المهم ويشحذ العزائم إلى دراسته وخدمته ، إنه على كل شئ قدير .

.....



# مظاهر الغزو الفكري

[الحلقة الخامسة]

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

مظاهر الغزو الفكري كثيرة ومتعددة ، وتكاد تشمل جميع جوانب الحياة ، وهذه المظاهر لم تكن إلا بناء على دراسات دقيقة لأحوال المجتمعات الإسلامية ..

لقد خطط أعداء الأمة الإسلامية ، وتدارسوا الأمر فيما بينهم ، ووضعوا مخططات تنفذ بكل دقة ، وتوالت مظاهر الغزو الفكري تنتشر بين المسلمين ، يساعد على ذلك أمران :

الأمر الأول : موالاة بعض حكام المسلمين للغرب .

والأمر الثاني : الدعاية للنظم الغربية والتغرير بها .

ولولا هذه المساعدة ، لكان من الصعب على مظاهر الغزو الفكري أن يستشري خطرها ، وقد نجح الغزو الفكري في إعداد بعض (كوادر) تتولى القيادة ، وإدارة أمور المجتمعات ، وكانت الدعاية للنظم الغربية والتغرير بها ، تدفع الناس إلى قبول ما يأتي من الغرب _ أياً كان - .

**ومظاهر الغزو الفكري يلمسها المراقب والباحث في كثير من القضايا ، مثل :** ١- حملات التشويه . ٢- إحياء النزعات الجاهلية . ٣- إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة . ٤- التعليم والثقافة . ٥- الخدمات الاجتماعية .

**أولاً : حملات التشويه :** فإذا ما بحثنا في حملات التشويه - والتي كانت مظهراً من مظاهر الغزو الفكري - وجدنا أن هذه الحملات ، مست كل ما يتصل بالإسلام من عقائد ، ونظم ، وتراث ، وتاريخ ، وفكر ، وحياة .

١- فهناك محاولة تشويه عقائد المسلمين : بغير سند ولا دليل ، يقول رينان الفرنسي : يصور عقيدة التوحيد في الإسلام : « بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم ، كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك » (١) .

ودائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة التي لم تترجم إلى اللغة العربية ، تعرض تحت مادة « ابن تيمية » ، أن ابن تيمية كان مسرفاً في القول بالتجسيد ، ومن ثم كان يفسر كل الآيات والأحاديث التي تشير إلى الله بظاهر اللفظ ، وقد تشبع بهذه العقيدة إلى درجة أن ابن بطوطة يروي عنه ، أنه قال من منبر جامع دمشق : « إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ، ثم نزل درجة من درج المنبر» (٢) .

٢- وهناك محاولة تشويه القرآن الكريم : وهي محاولة قديمة وحديثة ، وهذه المحاولة كغيرها بعيدة عن العلم والمنطق ، يقول المستشرق جب : « إن محمداً قد تأثر بالبيئة التي عاش فيها ، وشق طريقه بين الأفكار ، والعقائد الشائعة في بيئته ، فالقرآن من صنع محمد -ﷺ- ومن ملاءمات هذه البيئة التي عاش فيها » (٣) .

٣- وهناك محاولة تشويه السنة النبوية ، وهي محاولات ضارية ، عميقة الجذور في تاريخ الحرب ضد الإسلام ، وهي محاولات تستهدف ما تستهدفه محاولات تشويه القرآن الكريم ، من عزل المسلمين عن دينهم ، بتشويه مصدريه الأساسيين : القرآن والسنة .. وهي حرب دخلت على المسلمين حديثاً عن طريق الغزو الفكري ، وقد جند أعداء الإسلام لتشويه

(١) انظر الدكتور توفيق يوسف الواعي ، الحضارة الإسلامية ، مقارنة بالحضارة الغربية : ص/٧٠٨ .
(٢) انظر عبد العزيز علي الحويتي ، مجلة المنهل : ع/٤٨٥، ص/١٠٨-٩٠٩، جمادى الآخرة ١٤١١هـ جدة - السعودية .
(٣) انظر الدكتور علي عبد الحليم محمود ، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام : ص/٢٩، جامعة الإمام ١٤٠١هـ .





السنة ما جندوا من أقلام ، وكتب ، ومجلات ، وبحوث ، ومجمل محاولات الأعداء :

= الادعاء بأن هناك أحاديث لا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبي -ﷺ-.

= والادعاء بأن محاولة وجود شئ في الحديث النبوي يمكن القطع بصحة نسبته إلى النبي -ﷺ- تاريخياً ، محاولة فاشلة .

= الادعاء بأن الفرق الإسلامية عند ما اختلفت في الآراء ، أخذ كل منها يضع لنفسه الأحاديث التي يؤيد بها رأيه .

= الادعاء بأن الأحاديث النبوية ليست إلا سجلاً للجدل الديني في القرون الأولى (١) .

٤- وهناك محاولة تشويه شخصية الرسول محمد -ﷺ- ، وهي محاولات قديمة وحديثة ومستمرة ، تهاجم رسول الله -ﷺ- ، وتحاول أن تنال من شخصه ، ومن هؤلآء الأعداء الحاقدين على الإسلام الذين تطاولوا على شخصية الرسول الصادق الأمين -ﷺ- :

١- وليم موير في كتابه : (حياة محمد ) .
٢- هنري لامنس اليسوعي ، في كتابه : (الإسلام) وقد بلغ من حقد هذا الرجل على الإسلام أن تخبط فيما يكتب إلى الحد الذي أزعج بعض المستشرقين أنفسهم .
٣- الفرد جيوم في كتابه : (الإسلام) .
٤- صمويل زويمر في كتابه : (الإسلام تحد لعقيدة) .
٥- كنبثكراج في كتابه : (دعوة المئذنة) .
٦- ا. ج. أربري في كتابه : (الإسلام اليوم) .
٧- جولد زيهر في كتابه : (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي) .

(١) المصدر السابق : ص/٢٩-٤٠ .

٨- هـ أ. ر. جب في كتبه : (أ) طريق الإسلام . (ب) الاتجاهات الحديثة في الإسلام . (ج) المذهب المحمدي . (د) الإسلام والمجتمع الغربي .

٩- أ. ج. فينسنك في كتابه : (المستشرقون والإسلام) .

١٠- د.س. مرجليوث في كتبه : (أ) محمد ومطلع الإسلام .
(ب) التطورات المبكرة في الإسلام . (ج) الجامعة الإسلامية .
(د) قنطرة إلى الإسلام .

١١- ج. فون جرونبام في كتبه : (أ) إسلام العصور الوسطى .
(ب) الإسلام . (ج) الأعياد المحمدية . (د) الوحدة والتنوع والحضارة الإسلامية . (هـ) دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية .

١٢- د. ب. ماكدونلد في كتابه : (تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام) .

١٣- ر. ا. نيكلسون في كتابه : (متصوفو الإسلام) .

١٤- ر. بل. في كتابيه : (أ) أصول الإسلام في بيئته المسيحية .
(ب) مقدمة القرآن .

١٥- أثر جيفري في كتابه : (مصادر تاريخ القرآن) .

١٦- يوسف شاخت في كتابه : (أصول الفقه الإسلامي) .

١٧- ارنولد توينبي في كتابه : (دراسة في التاريخ) .

١٨- فيليب حتى ، وهو مسيحي لبناني في كتابه : (تاريخ العرب) .

١٩- مجيد خوري ، وهو مسيحي عراقي ، في كتابه : (الحرب والسلام في الإسلام) .

٢٠- ابراهام كاش ، في كتابه : (اليهودية في الإسلام) .

٢١- ادوارد فرمان ، في كتابه : (تاريخ المسلمين وفتوحاتهم) .

٢٢- ج. س. أرثر في كتابه : (العناصر الصوفية في محمد) .

٢٣- د. بلاشير ، في كتابه : (مقدمة القرآن) .





٢٤- سنوك هورج رونجد في كتابه : (الإسلام) (١) .

وغير هؤلآء كثير .. وما أردنا الاحصاء أو الاستقصاء .. وكل هؤلآء حاولوا تشويه الإسلام ، ونالوا من شخص الرسول -ﷺ- ، فيما كتبوا ، وافتاتوا على الحق ، وموهوا ، وملأوا الدنيا ضجيجاً بأصوات الباطل ، وهراء الجاهلين ، وسموم الحاقدين (٢) .

٥- وهناك محاولة تشويه التاريخ الإسلامي ، وهذه المحاولة من أخبث المحاولات وأكثرها خبثاً ومكراً ، فقد صور هؤلآء الحاقدون على الإسلام والمسلمين ، أن الفتوحات الإسلامية فتوحات غزو واستعمار ، وإن الخلافة الإسلامية خلافة تآمر وسفك للدماء ، وغير ذلك كثير مما لا يقره عقل ولا دين .

٦- وهناك محاولة تشويه التراث الإسلامي ، ولا يخفى أن تشويه تراث الأمة ، هو تشويه للأصالة التي تنطلق منها ، وتراث المسلمين تعرض لانتهاك هؤلآء الحاقدين على كل ما هو إسلامي ، فأصابه ما أصاب غيره من الافترا والافتئات .

٧- وهناك محاولة تشويه مجال الغيب في الإسلام ، وهذه المحاولة أريد منها زعزعة الإيمان بالغيب عند المسلمين ، ولذا جاءت المحاولة تشكك في كل ما لا تدركه الحواس وتفسر الجزاء عند المصدقين به ..بأنه جزاء روحي ، والجنة والنار بأنها شعور نفسي .

٩- وهناك محاولة تشويه نظام الحياة الإسلامية ، وذلك بالادعاء بأنه لا يوجد نظام للحياة معروف في الإسلام ، والتهم التي وجهت إلى نظام

---

(١) انظر الدكتور علي عبد الحليم محمود ، الغزو الفكري ، والتيارات المعادية للإسلام : ص/٤٥-٤٦ .
(٢) المصدر السابق : ص/٤٦ .

الحياة الإسلامية كثيرة ولكن أبرزها وأخطرها :

أولاً : اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية بالرجعية وعدم القدرة على مواكبة ركب التحضر والتقدم (١) .

ثانياً : اتهامهم النظم الإسلامية بالمحلية والقصور والاقليمية .

ثالثاً : اتهامهم لها بأنها عند التطبيق والتنفيذ ، تعتمد على وحشية أو همجية أو قسوة وبخاصة فيما يتصل بالرجم والقطع والجلد .

رابعاً : اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية بأنها لم تحظ بإجماع المسلمين عليها ، في عصر من العصور .

خامساً : اتهامهم لها بأنها تتجاهل الأقليات غير الإسلامية في ظل الدولة الإسلامية .

وهذه التهم قد أطلقها أعداء الإسلام من غير المسلمين ، وشاركهم في إطلاقها بعض المسلمين المخدوعين بالفكر الغربي .

١٠- وهناك محاولات تشويهية أخرى ، تتصل بجوانب من الإسلام ، إن هذه المحاولات في مجموعها ، تشكل انقضاضاً على مبادئ الإسلام ، وتعاليمه ..

ثانياً : من مظاهر الغزو الفكري : إحياء النزعات الجاهلية التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام كالدعوة إلى القومية ، والدعوة إلى الفرعونية ، والآشورية ، والفينيقية ، وما جرى مجرى هذا ، مما يتنافي مع الإسلام .

ثالثاً : الدعوة إلى التحلل والإباحية : وهذه دعوة خبيثة لأنها تطعن الأمة في أخلاقها وقيمها ، وقد شاعت في المجتمعات الإسلامية أمور تعافها الفطر السليمة ، ولكنه الانحراف الذي لا يعترف بالقيم الفاضلة .

رابعاً : إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة : ولا يخفى أن إبعاد

(١) المصدر السابق : ص/٧٨ .





العلماء عن المراكز التوجيهية أمر له خطورته ، وفي بعض المجتمعات تقلص دور العلماء ، وأصبح قاصراً على خطبة الجمعة ، وبعض الأحاديث التي تخضع للعيون الساهرة والمراقبة الدقيقة ، وأصبح بعض العلماء يجرون وراء المناصب جرياً ، تذل له الجباه ، ويطلبون المناصب بما لهم من مآثر في الاتباع ، وأياد في التصفيق والتأييد .

خامساً : التعليم والثقافة : ولا يخفى أن الغزو الفكري ، ينتشر من خلال مدارس التعليم ومعاهده وجامعاته أفضل من أي مظهر آخر .

وقد دخل الغزو الفكري إلى العالم الإسلامي ، من باب يخيل إلى السطحيين من الناس أن الباب الطبيعي ، إذ حمل اسم العلم والمعرفة والتمدن ، يقول القس زويمر : « المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون في التحكك بالمسلمين » (١) .

ومن المعروف أن المسلمين اقبلوا على هذه المدارس بكثرة كاثرة ، يزدرون مناهجها ، ويلتهمون كل ما احتجنته من عقيدة وفكر ، لا يميزون صحيحها من فاسدها ، ونفعها من ضرها (٢) .

وبما أن الثقافة ليست علوماً ومعارف وأدباً وفنوناً فحسب ، بل مناهج فكر وخلق ، تصطبغ حياة الأمة بصبغتها في شتى ضروب نشاطها ، فإن « الغزو الفكري » استطاع من خلال الثقافة ، أن يلقي بمزيج من الأخلاط الغربية المتلبسة من الفكر الغريب المنحرف ، والتوجيه الفاسد ، القائم على التخطيط الشرير (٣) ، ولذا قام الغزو الفكري بالدعوة إلى الأغراض الآتية :

١- الدعوة إلى إضعاف العلاقة بين المسلمين بقطع الروابط الثقافية

(١) محب الدين الخطيب : الغارة على العالم الإسلامي : ص/٤٨ ، ط. ١٣٧٤هـ .
(٢) إبراهيم النعمة ، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري : ص/١٢ .
(٣) انظر عمر عوده الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية : ص/١٦٧-١٦٨ .

وإحياء الثقافات الجاهلية .

٢- الدعوة إلى العامية ، وإلى تطوير اللغة .

٣- إيجاد الشعور بالتبعية الثقافية ، والشعور بمركب النقص .

٤- دفع الجامعات إلى الاعتماد على كتب المستشرقين العلمية .

٥- توهين جهود المخلصين الثقافية والابداعية .

٦- تمجيد القيم الغربية ، وتسفيه القيم الإسلامية ، والدعوة إلى نبذها .

٧- لفت المجتمعات إلى القشور ، والهائها عما يفيد وينفع .

٨- إحياء المذاهب الفلسفية والجدلية ، والبعد عن الأساليب العلمية .

٩- إنشاء الموسوعات التاريخية الإسلامية ، وبذر الشكوك ولي الحقائق فيها .

١٠- الحرص على تكوين جيل مثقف يحمل رأية الاستشراق والدعوة (١) .

١١- الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية وغيرها بلغات غير اللغة العربية ، ليظل المسلم عنده إحساس بعجز اللغة العربية لغة القرآن .

سادساً : الخدمات الاجتماعية : والخدمات الاجتماعية مظهر من مظاهر الغزو الفكري ، وقد وجد المخططون لغزو العالم الإسلامي : أن الخدمات الاجتماعية طريق يساعد على إمرار ما يراد إمراره ، من خلال الخدمات الاجتماعية ، ولذلك أصبحت الملاجئ ، والمستشفيات ، والمستوصفات ، والجمعيات الخيرية ، و وكالات الاغاثة ، و دور الأيتام ، و المسنين ، وغيرها مراكز غزو :

و مما يلاحظ أن (الغزو الفكري) لم يقتصر على المظاهر التي ذكرنا

(١) انظر الدكتور توفيق يوسف الواعي ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية : ص/٧٢٢ .





بعضاً منها ، وإنما كانت هناك خطوات أخرى ، محسوبة ومتعددة ، على كافة الجهات والطرق ، ومن هذه المخططات :

١- الإرساليات التبشيرية التي قل أن يخلو مجتمع إسلامي منها .

٢- الإعداد الصهيوني والتنسيق بينه وبين الفكر الغربي .

٣- التصنيف والتأليف في المباحث الإسلامية واستغلال قصور المسلمين فيها .

٤- القاء المحاضرات في الجامعات أو الجمعيات الإسلامية .

٥- إنشاء دوائر المعارف الإسلامية ، والمعاجم المختلفة .. وغيرها ..

٦- استغلال البعثات العلمية والثقافية .

٧- الامتيازات الأجنبية والحصانات الدبلوماسية واستغلالها .

٨- استغلال الأقليات والطوائف والنعرات .

٩- التعاون بين التبشير والسياسة .

١٠- استغلال الحركات الوطنية ، والتطلعات السياسية .

١١- استغلال فقر الشعوب ، و حاجتها ، و عريها ، و ربط الإحسان بالتبشير .

١٢- استغلال العواطف والجوع الجنسي ، واستخدامه في خدمة الأهداف .

١٣- الرحلات ، وجمعيات الصداقة ، والدعوة إلى العالمية ، والمجتمعات الكشفية .

١٤- المساعدات الاقتصادية ، وربطها بتسهيلات ، وتنازلات معينة .

١٥- الدعوة إلى الحوار الحر ، مع نبذ العقائد والأفكار ، والتجرد للوصول إلى الحقيقة (١) في زعم هؤلاء .

[يتبع]

(١) المصدر السابق : ص/٧٢٢ .

الدعوة الإسلامية :

# المسلمون يمتحنون

دكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

هي سنة الله في خلقه ، شدة يعقبها رخاء ، وابتلاء يستوجب الصبر ، تمر بالإيمان الشدة فيتبصر في نفسه ، ويقلب صفحات عمله ، لكي يبحث عن نقطة الضعف ، التي كانت هي الثغرة التي جاءت منها الشدة ، فإن أناب إلى ربه واستغفر ، وتلافي الخطأ ، واحتسب ما عند الله في تحمل هذه الشدة ، فإن الله يجازيه بالإحسان إحساناً ، وبالسيئات غفراناً ، فتفرج الكربة ، ويرتاح القلب ، كما قال جل وعلا : ﴿ فإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً (سورة الانشراح ، الآيتان : ٤-٥) قال -ﷺ- : « لن يغلب عسر يسرين » ولا يجد لذة آثار هذه السيئة ، إلا الراجعون إلى ربهم ، الناعمون بالرخاء ، الذي هو نتيجة الإنابة إلى الله جل وعلا وهي جزء من لذة الإيمان .

كما يمر بالإنسان الابتلاء الذي هو محك الإيمان ، ومحور اختبار أصالة جوهر الإنسان ، وإدراك نفاسته ، كما قال جل وعلا في سورة العنكبوت : ﴿ ألم • أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (١-٢) .

فالابتلاء من الفتنة التي تساق للمسلم ، ليعرف بذلك مدى تحمله وقدرته على الصبر ، واستفادته من الموقف الذي مر عليه ، ليحسن من عمله ، وليعرض ما قام به من عمل ، وما ساد في بيئته ويقوم به من حوله : على كتاب الله ، وسنة رسوله ، فيمحّص بذلك جلائل الأعمال ودقائقها





ويزيل ما علق بها من كدر في النية والعقيدة ، والعمل والأسلوب .

ولقد امتحن الله رسله - عليهم الصلاة والسلام - وابتلي أتباعهم بما سلط عليهم في المعيشة والأمن ، وفي الصحة والولد ، لأن الابتلاء تذكير للنفس كلما غفلت ، وتنبيه لها من أمور وقعت فيها .

وامتحن رسول الله -ﷺ- في مواقف عديدة كما بان من سيرته العطرة ، وظهر الابتلاء لأصحابه -ﷺ- في حياته ، ليأخذوا منه - عليه الصلاة والسلام - الأسوة الحسنة ، والإعانة على التحمل بالإرشاد والتوجيه ، وقد ظهر هذا في مواقف كثيرة حرص فيها المشركون الإضرار بصاحب الرسالة وأتباعه بأساليب عديدة ، كما في غزوة بدر الكبرى ، وغزو أحد ، والأحزاب والحديبية ، وغيرها من المواقف التي اشتد فيها الكرب على المسلمين ، وتكالب عليهم الأعداء فيها، وبلغت القلوب الحناجرمن آثار الشدة والبلوى ، التي حلت بهم ، فميز بذلك الصادق المتجه إلى الله بقلبه عقيدة ، وحواسه كلها عملاً ، من المنافق الذي يبطن الكفر ، ويظهر اتباع المؤمنين ..

فأدرك الصادقون أن النفس في حاجة إلى الطهارة ، وأن المجتمع في حاجة إلى التنقية ، وأن الأعمال إلى تمحيصها حتى تكون مقبولة عند الله ، لأن الله طيب لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً ، والطيبة ليست في النوعية ، وإنما في الكيفية أيضاً كما قال سبحانه : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾(سورة الملك ، الآية : ٢)، وقد هذب القرآن الكريم النفوس الطاهرة ، بآداب تربوية عالية ، في النظرة إلى المصائب وفي إدراك ما يسبب المحن و ترمز إليه من أبعاد في تطهير النفوس :

قوة في التحمل ، وقدرة على العمل ، وإحساساً بإدراك جوانب الضعف ، وإنابة إلى الله من الخطأ وندماً على ما حصل من تقصير ، يدرك مثل هذا الدرس العظيم من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة • قد

أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شئ قدير» (سورة آل عمران ، الآية : ١٦٥) .

ذلك أن الدنيا دار ابتلاء ، يمتحن فيها الإنسان على قدر إيمانه ، وبمقدار ما يكون عليه المرء من قدرة في التحمل ، وصبر على المصيبة ، واحتساب أثر ذلك عند الله ، بمقدار ما يعظم أجره ، ويثقل ميزان حسناته عند الله .. لأن القدرة على الثبات أمام المحن ، والتزام ما تأمر به شريعة الإسلام ، مهما كبر الأمر أو صغر ، نعمة من الله يهبها لمن يشاء ، ومنزلة إيمانية رفيعة المستوى ، بعكس من يتحمل تجلداً بدون إيمان ، وصبراً بدون عقيدة ، فإن هذا كالبهيمة في تحملها ما يصفه الإنسان عليها من أثقال ، وما يكلفها به من مشاق ، فهو تحمل بلا أجر ، وصبر بدون احتساب .

لكن المؤمن توجهه شريعة الإسلام بمصدريها إلى مناهج الصبر على ما يوجه إليه من امتحان ، وتبصره بما يجب أن يعمل عند حلول البلاء ، سواء كان في نفسه أو أسرته ، أو كان في معيشته وأمنه ، أو في مجتمعه وظهور الأعداء عليهم ، حيث يجعل الله ذلك درساً عملياً ، لكي يستيقظ منه النائم ، ويدرك المقصر ، وليجود في العمل تحسيناً وتنقية ، من خالطت أعماله شبهات ، أو اعترضت سيرته مشكلات ، أو ركن في حالة غفلة إلى الذين ظلموا : ميلاً بالقلب ، وقدوة في العمل ، وأنساً بالاتجاه .

فالمؤمن ينذر بما يوجه إليه ، ليحركه إيمانه فيتدارك ، كما قال عزوجل : ﴿ ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين • الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة • وأولئك هم المهتدون ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٥٥-١٥٧) .

أما غير المؤمن ، فإنه ينظر إلى هذه الأمور على أنها ظواهر كونية ،





ويلقى باللائمة على من حوله يميناً وشمالاً ، فلا تحرك لديه ساكناً ، ولا تغير في قلبه معتقداً ، كما أخبر الله عزوجل ، عمن هذه صفته بقوله الكريم : ﴿ وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (سورة يونس ، الآية : ١٠١) .

فمثلها أن الصفوة الأولى ، وهم الرسل ثم أتباعهم بإحسان يمتحنون في إيمانهم بالمصائب والكوارث مع مكانته الإيمانية والعلمية .

فكذلك من جاء بعدهم جيلاً بعد جيل . فقد امتحن المسلمون في مسيرتهم الجهادية الطويلة ، التي جعلها الله سبباً لإنارة قلوب كثير من أنباء الأمم ، في أنحاء المعمورة ، وجعل الله لهم هيبة كلما كانوا صادقين مع الله في العمل والسلوك ، والنية والعقيدة ، ولم يتجرأ عليهم عدوهم إلا بعدما ضعف الوازع الإيماني في نفوسهم ، وكلما خف الجانب العملي في أداء ما افترض الله عليهم .

وظل الإسلام لا ينحسر ، ورايته لا تغلب ، ولكن الذي ينحسر هو النفوس التي تتهاون في شرع الله ، والذي يغلب النفوس التي تضعف في أداء ما افترض الله ، فيسلط الله العدو انتقاماً وتنبيهاً ، كما جاء في الأثر القدسي : «من عصاني وهو يعرفني ، سلطت عليه من لا يعرفني» ..

والدولة العباسية لما ضعفت عن الجهاد ، واستكان أبناؤها لملذات الحياة ، وجذبهم ذلك إلى الاستهانة بمحارم الله ، طمع الأعداء في تقسيمها وتفتيتها ، لأن ضعفها ضعف للمسلمين ، فامتحنهم الله بمنازعات ومطامع من أعداء دين الإسلام ، فقيض الله دولة فتية في الأندلس لترفع راية الجهاد هناك على يد عبد الرحمن الناصر ، فكان شوكة في حلوق الأفرنج والصليبيين حقبة من الزمن ، ولما دب الخلاف بين أبناء الأمة الواحدة ، وتقسمت الأندلس إلى دويلات في عهد الطوائف ، واستعان بعضهم بالأفرنج على بنى جلدتهم وملتهم ، شتت الله شملهم

وعاقبهم بتسلط عدوهم عليهم ، وطمع من ساعدهم فيما تحت أيديهم . لكن راية الإسلام التي أريد لها أن تنحسر في الأندلس ، ارتفعت قوية في شرق أوربا بافتتاح القسطنطينية على يد محمد الفاتح ، فكانت نصراً مؤزراً دخل به الإسلام بلاد البلقان ، كما تثبتت به دعائم الإسلام في بلاد ما وراء النهر ، التي فتحها القائد الأموي الملهم : قتيبة بن مسلم الباهلي ، وقد كان للقائد ألب أرسلان ، كما ذكر ابن الأثير في موسوعته التاريخية : الكامل دور كبير في التصدى للطامعين في أطراف الدولة الإسلامية ، وهزائمهم المتعددة .

وفي عصرنا القريب عند ما استعمر الغرب بلاد المسلمين في أنحاء المعمورة ، أعاد الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين ، التي عرفنا منهجهم فيها في حرب طويلة في بلاد الشام ، حتى أخرجهم منها صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - فكانت إعادتهم الحديثة للحرب ضد الإسلام والمسلمين بأساليب جديدة ، وذلك بمباعدتهم عن المصدر الأول للمسلم وهو القرآن الكريم ، ومباعدتهم عما تدعو إليه تعاليمه في أمور المعاملات والعلاقات ، والأخلاق والقيم ، وكان أول ما حرصوا عليه إبعادهم عن اللغة العربية ، التي هي الصلة الأولى بدين الإسلام فهماً لتشريعات هذا الدين ، ومعرفة بمصدري التشريع فيه كتاب الله وسنة رسوله محمد -ﷺ- لأن من تخطيط قياداتهم ، وتنظيمات مفكريهم : أنكم لن تستطيعوا التغلب على المسلمين إلا بإماتة الجهاد من قلوبهم ، والجهاد لن يموت ذكره ، عندهم وهم يتفهمون القرآن وما يدعو إليه .. ولذا يجب مباعدتهم عنه ، حتى تموت تعاليم الإسلام من قلوبهم ، وإبعادهم عنه أولاً بطمس اللغة العربية من ديارهم فكانت محن كثيرة ، ومصائب عديدة مرت بالمسلمين في افريقيا وآسيا وأوربا ، حتى نسوا إخوانهم المسلمين في ديار العرب ، وبعدت الشقة بينهم ، ثم جاءت الشيوعية الحمراء ، لتكون آفة عظمى ،





ومصيبة ما بعدها مصيبة على الإسلام والمسلمين ، في كل مكان امتدت إليه ، وفي كل منطقة تريد ضمها إلى سلطتها ، فكانت كابوساً جثم على المسلمين في شرق أوربا ، تلك القلوب التي أنارها ضوء الإسلام أيام عز الدولة العثمانية ، وقبل أن يمتحن الإسلام في تركيا بتآلب الغرب عليه ، كما كانت مصيبة عظيمة حلت بديار المسلمين في آسيا : الشمالية الغربية ، وتأذى منها مسلمو الصين ، وما جاورهم ، تعمدت فيها الشيوعية الإساءة البالغة للإسلام والمسلمين : هدماً للمساجد ، وإفساداً لمواطن العبادة ، وحرقاً للكتب ، وإهانة لكلام الله القرآن الكريم ، وإبعاداً للشباب عن الإسلام بالتجهيل والمتابعة ، وملاحقة للشيوخ والقراء ، حتى لا يمتد الجذر في الناشئة ، وغير هذا من أساليب عنيفة وحاقدة ، ولكن الله يمهل ولا يهمل ، حيث استيقظ المسلمون في تلك الديار ، بعد ترنح الدب الأحمر ، لكن المحن تتخطفهم ، وأدواء الأمم تنتابهم ، حيث كل يريد جذبهم إلى ما يعتقده ليفسدوا عليهم إسلامهم الذي ثبتوا عليه أيام المحن القاسية ، وعضّوا عليه بالنواجذ بالخفاء ، خوفاً من الملاحقة التي راح ضحيتها خيرة رجالهم وعلمائهم ، فهم أمانة في أعناق المسلمين يجب أن يفتحوا لهم صدورهم لتعليمهم وإنقاذ أبنائهم قبل أن تجتذبهم الأهواء والنحل ، فالله سائل المسلمين في أي مكان إن هم تراخوا كما قال سبحانه : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ (سورة الزخرف ، الآية : ٤٤) .

والآن تقرع مسامعنا صيحات اخوة لنا في الإسلام في البوسنة والهرسك ، تسلط عليهم أعداؤهم وأعداء دينهم من الصرب وأشياعهم في حرب مسعورة ومحنة كبيرة ، يجب أن تحرك المسلمين في كل مكان ليقتفوا أثر الملكة العزيزة بتوجيهات خادم الحرمين الشريفين في مناصرتهم مادياً ومعنوياً انطلاقاً من مبدأ : من لم يهتم بأمر المسلمين

فليس منهم . فالمحن التي تنتاب المسلمين في أي صقع كانوا ، يجب أن يجأر لها كل مسلم على وجه ليقدم ما يستطيع : تفاعلاً في العمل ، ومشاركة في الآلام ، ودعاء إلى الله بأن يفرج عنهم الكربة ، ومساعدة بقدر المستطاع ، فأحب العمل إلى الله أدومه وإن قل .

**بين وزير وعطار :**

ذكر التنوخي في نشوار المحاضرة ، قال حدثني بعض أهل بغداد ، أن عطاراً من أهل الكرخ كان مشهوراً بالستر والأمانة ، فركبه دين وقام من دكانه ، ولزم بيته مستتراً ، وأقبل على الدعاء والصلاة ، قدوة برسول الله -ﷺ- حيث كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، إلى أن صلى ليلة الجمعة صلاة كثيرة ، ودعا بحضور قلب وتخشع لله ليفرج كربته ، ونام فرأي النبي -ﷺ- في منامه ، وهو يقول له : اقصد علي بن عيسى - وزير المقتدر- وكان إذ ذاك في وزارته ، فقد أمرته أن يدفع إليك أربعمائة دينار ، فخذها وأصلح بها أمرك .

قال الرجل : وكان علي ستمائة دينار ديناً ، فلما كان من الغد ، قلت : قد قال النبي -ﷺ- من رآني في منامه فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي ، فلم لا أقصد الوزير .

فلما صرت ببابه ، منعت من الوصول إليه ، فجلست إلى أن ضاق صدري ، وهممت بالانصراف ، فخرج الشافعي ، صاحب الوزير علي بن عيسى ومن الأثيرين لديه ، وكان يعرفني معرفة ضعيفة ، فأخبرته الخبر ، فقال : إن الوزير والله في طلبك منذ السحر ، إلى الآن ، وقد سألني عنك فأنسيتك ، و ما عرفك أحد ، و الرسل مبثوثة في طلبك ، فكن بمكانك .

ثم رجع فدخل ، فلم يكن بأسرع من أن دعى بي ، فدخلت إلى علي بن عيسى ، فقال لي : ما اسمك ؟ قلت : فلان بن فلان بن عطار .

قال : من أهل الكرخ ؟ قلت : نعم .





قال : أحسن الله إليك في مقصدك إياي ، فو الله ما تهنأت بعيش منذ البارحة ، فإن رسول الله -ﷺ- جاءني البارحة في منامي ، فقال : اعط فلان بن فلان العطار ، من أهل الكرخ أربعمائة دينار ، يصلح بها شأنه ، فكنت اليوم في طلبك ، وما عرفك أحد .

فقلت : إن رسول الله -ﷺ- جاءني في المنام ، فقال لي : كيت وكيت .

قال : فبكى علي بن عيسى ، وقال : أرجو أن تكون هذه عناية من الله بي ، وتوجيهاً من رسول الله -ﷺ- اصلح به أمري .

ثم قال : هاتوا ألف دينار ، فجاؤا بها عينياً ، فقال : خذ منها أربعمائة دينار امتثالاً لأمر رسول الله -ﷺ- وستمائة دينار هبة مني لك .

فقلت : أيها الوزير ، ما أحب أن ازداد على عطاء رسول الله -ﷺ- شيئاً ، فإني أرجو البركة فيه ، لا فيما عداه .

فبكى علي بن عيسى ، وقال : هذا هو اليقين خذ ما بدا لك ، فأخذت أربعمائة دينار ، وانصرفت فقصصت قصتي على صديق لي ، وأريته الدنانير ، وسألته أن يقصد غرمائي ، ويتوسط بيني وبينهم ، ففعل ، وقالوا : نمهله بالمال ثلاث سنين .

فقلت : لا ، ولكن يأخذون مني الثلث عاجلاً ، والثلثين في سنتين ، في كل سنة ثلثاً ، فرضوا بذلك ، وأعطيتهم مائتي دينار ، وفتحت دكاني بالمائتي دينار الباقية .

فما حال الحول إلا و معي ألف دينار ، قد وفقني الله بجمعها من التجارة ، فقضيت ديني ، وما زال مالي يزيد ، وحالي يصلح ، والحمد لله [نشوار المحاضرة : ٢/١٢٧] .

.....

# التوحيد والشرك وأقسامها

[الحلقة الثانية الأخيرة]

الأستاذ محمد جنيد الجاتكامي
وعميد قسم التخصص في علوم الحديث
الجامعة الإسلامية شيتاگنج - بنغلاديش

## أقسام الشرك :

وفي السطور التالية عرض موجز لأهم ألوان الشرك وأقسامه :

### ١- القسم الأول ، الإشراك في العلم :

وهو أن تشرك بالله تعالى غيره - ولو كان نبياً - في (العلم) الذي هو صفة مختصة به جل جلاله ، لقد ورد في الرد على تلك العقيدة آيات وأحاديث كثيرة ، فقال تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ٥٩) ، و قال تعالى : ﴿ و لو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير و ما مسني السوء إن أنا إلا نذير و بشير لقوم يؤمنون ﴾ (سورة الاعراف ، الآية : ١٨٨) . وأخرج الإمام مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ومن زعم أن النبي -ﷺ- يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ﴾ (١) . وفي فتاوى قاضي خان من كتب الحنفية : اعتقاد أن الرسول -ﷺ- يعلم الغيب كفر (ج/١ ، ص/١٥٤) . وفي الفتاوى البزازية من كتب الحنفية : قال علماؤنا : من قال : أراواح المشايخ حاضرة تعلم ، يكفر (فتح المجيد : ص/١٧٢) .

### ٢- والقسم الثاني ، الإشراك في التصرف :

وهو أن تجعل لله شريكاً

(١) صحيح مسلم : ج/١ ، ص/٩٨ .





في (التصرف) ، تلك الصفة المختصة بالله سبحانه ، لقد جاء في ذم ذلك نصوص كثيرة واضحة من الكتاب والسنة ، فقد قال الله تعالى : ﴿ قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية : ٨٨-٨٩) . وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله -ﷺ- : وإذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن الله واعلم ا ، الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف (١) .

### ٣- والقسم الثالث ، الإشراك في العبادة :

وهو أن تجعل لله نداً في العبادة ، ومن العلوم بالضرورة أن أنواع العبادات كلها من خصائص الألوهية ، فلا يجوز أن تصرف لغيره سبحانه وتعالى ، ومن صرف واحدة منها لغير الله فقد اشرك بالله عز وجل ، فقد قال الله تعالى : ﴿ و لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذيرٌ مبين . أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب أليم ﴾ (سورة هود ، الآية : ٢٥-٢٦) . وقال تعالى : ﴿ قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحداً ﴾ (سورة الجن ، الآية : ٢٠) .

### ٤- والقسم الرابع ، من الشرك الاستغاثة بغير الله ودعاء غيره :

لأن الاستغاثة والدعاء من العبادات ، وقد نهى الله سبحانه عن دعاء غيره تعالى قال : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين ﴾ (سورة يونس ، الآية : ١٠٦) . وقال شيخ الإسلام :

(١) مشكاة : باب التوكل والصبر .

فأما ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يجوز أن يطلب إلا من الله سبحانه ، لا يطلب ذلك من الملائكة ، ولا من الأنبياء ، ولا من غيرهم ، ولا يجوز أن يقال لغير الله : اغفرلي ، واسقنا الغيث ، وانصرنا على القوم الكافرين ، واهد قلوبنا ، ونحو ذلك .

ولهذا روى الطبراني في (معجمه) إنه كان في زمن النبي -ﷺ- منافق يؤذي المؤمنين ، فقال الصديق : قوموا بنا نستغث برسول الله -ﷺ- من هـذا المنافق ، فجـاء إليه فقال : « إنه لا يستغاث بي ، و إنما يستغاث بالله » (١) .

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - : من أنواعه - يعني الشرك - طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم - وهذا أصل شرك العالم - فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عمن استغاث به (٢) .

**٥- والقسم الخامس ، الاستعاذة بغير الله :**

معنى الاستعاذة الالتجاء والاعتصام ، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه واعتصم واستجار به ، فمن الشرك الخبيث الاستعاذة بغير الله ، لأن الاستعاذة من أنواع العبادات التي أمر الله بها عباده ليفردوه بها ، قال تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ (سورة فصلت ، الآية : ٣٦) . وقوله سبحانه : ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ .

لقد شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته ، بدلاً عما

(١) الكشاف الفريد : ج/٢ ، ص/١٧-١٨ .
(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ص/١٧٢ .





يفعل ، أهل الجاهلية من الاستغاثة بالجن ، وقال ابن القيم : ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده ، وإن لم يسم عبادة ويسميه استخداماً (١) .

**٦- القسم السادس ، التطير والتشاؤم :**

راجت في العصور المتعاقبة ضلالة التطير والتشاؤم ، التي كانت منتشرة في عهد الجاهلية ، وأنت لا تشك معي في أن التطير أمر قائم على غير أساس من العلم أو الواقع الصحيح ، إنما هو انسياق وراء الضعف ، وتصديق للأوهام الفاسدة وعبودية للتخيلات الخاطئة .

لذلك لازم على المسلم الحقيقي صاحب العقيدة السليمة أن لا يكترث لهذه اللوثات الساقطة ، كالتشاؤم ببعض الأيام والشهور ، أو الطيور كالبوم ، أو المنازل أو الأماكن أو الأشخاص وماشا به ذلك ، لأنها أوهام جاهلية واعتقادات شركية ، فقد أخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال : الطيرة شرك (٢) . وقال - عليه الصلاة والسلام - : لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل ، وقال -عليه السلام- : لا عدوى ولا صفر ، ولا هامة ، رواهما البخاري (٣) .

وقال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس ، فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال له ابن عباس : لا خير ولا شر ، فبادره بالانكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر (٤) .

**٧- القسم السابع ، شرك السجود لأهل القبور والطواف حول القبور:** ومن الشرك الأفحش ما يقوم به أجهل جهلاء الناس من الطواف

(١) فتح المجيد : ص/١٦٩ . (٢) فيض القدير : ج/٤ ، ص/٢٩٤ .
(٣) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : ص/٥٧٨-٥٧٩ .
(٤) فتح المجيد : ص/٢١٥ .

حول القبور والسجود لأهل القبور - أعاذنا الله من ذلك - لأن الطواف والسجود من أرفع العبادات وأفضلها ، وقد مر أن العبادات بحذافيرها من خصائص الألوهية ، فمن سجد لغير الله أو طاف لغيره فقد أشرك في العبادة ، لقد أنكر الله تعالى ورسوله -ﷺ- ذلك بكل صراحة ، فقال تعالى : ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (سورة فصلت ، الآية : ٣٧) . وقال النبي -ﷺ- : لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد أخرجه البخاري (١) ، وقد روى الإمام مالك في الموطأ أن رسول الله -ﷺ- قال : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (٢) .

والحديث يدل على أن قبر النبي -ﷺ- لو عبد لكان وثنا ، لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس ، فلا يوصل إليه .

## إنكار ما يفعله الجهلاء والمبتدعة بقبور الأولياء والصالحين

بعد الإجمال حول هذا القسم من الشرك أقول بنوع بسط : إن الإسلام الحنيف صب سوط غضبه على ماراج وعم في العصور المتعاقبة في قبور الأولياء والمشايخ من الشركيات والبدع والضلالات الخبيثة التي كانت منتشرة في عهد الجاهلية الأولى ، كاتخاذ القبور مساجد والطواف حول القبور وايقاد النار وأن يبنى عليها بناء من بيت أو قبة وأن تكسى بالغلاف والاجتماع بعد الحول كالأعياد وتسميته عرساً ، ونحوها من الأمور المحرمة والشركيات القبيحة .

(١) اللؤلؤ والمرجان : ص/١٠٧ .
(٢) كتاب التوحيد للعلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ص/٥٧ .





فعن ابن عباس قال : لعن رسول الله -ﷺ- زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج (١) ، ورى الحاكم وصححه عن ابن عباس لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج (٢)، وعن جابر قال نهي رسول الله -ﷺ- أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه (٣) ، وقال العلامة المفسر الكبير القاضي ثناء الله الپاني پتي : لا يجوز ما يفعله الجهال بقبور الأولياء والشهداء من السجود والطواف حولها واتخاذ السرج والمساجد عليها ومن الاجتماع بعد الحول كالأعياد ويسمونه عرساً (٤) ، وفي فتاوى عالمگيري من كتب الحنفية : وإيقاد النار على القبور فمن رسوم الجاهلية (٥) ، وقال الإمام شمس الأئمة السرخسي : السجود لغير الله على وجه التعظيم كفر (٦) ، وقال العلامة العيني في (البناية) : في هذا الزمان لا يسجدون للسلطان إلا تعظيماً وإجلالاً ، فلا يشك في كفرهم ، وقال المحبوبي في شرح (جامع الصغير) : أما السجود لغير الله سبحانه وتعالى فهو كفر (٧) ، وقال الإمام ابن القيم : ولم يكن من هديه -ﷺ- تعلية القبور ولا بناؤها بآجر ولا تشييدها ولا بناء القباب عليها ، فكل هذه بدعة مكروهة مخالفة لهديه -ﷺ- (٨) .

(١) سنن أبي داؤد : ج/٢ ، ص/١٠٥ .
(٢) التفسير المظهري : ج/٢ ، ص/٦٥ .
(٣) صحيح مسلم : ج/١ ، ص/٣١٢ .
(٤) التفسير المظهري : ج/٢ ، ص/٦٥ .
(٥) فتاوى عالمگيري : ج/١ ، ص/١٢٤ .
(٦) إعلاء السنن : ج/١٧ ، ص/٤٢٢ . (٧) إعلاء السنن : ج/١٧ ، ص/٤٢٤ .
(٨) زاد المعاد : ج/١ ، ص/١٤٦ .

## غرض الإسلام هدم البيوت والقباب على القبور

أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي وائل عن أبي الهياج الاسدي قال : قال لي على ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله -ﷺ- ان لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته (١) . وقال المحقق المفسر الكبير العلامة الآلوسي البغدادي الحنفي : ثم إجماعاً فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها (أي القبور) واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها ، وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور ، إذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على معصية رسول الله -ﷺ- ، لأنه -عليه الصلاة والسلام- نهي عن ذلك وأمر بهدم القبور المشرفة ، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ، ولا يصح وقفه ولا نذره (٢) . وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - في (الأم) : ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى ، ويؤيد الهدم قوله -عليه السلام-: ولا قبراً مشرفاً إلا سويته (٣). وقال الإمام الحافظ ابن القيم - رحمه الله - : يجب هدم القباب التي بنيت على القبور ، لأنها أسست على معصية الرسول -ﷺ- ، وقال أيضاً: لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً ، وكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور والتي اتخذت أوثانا تعبد من دون الله (٤) . وقد صرح ابن حجر الهيثمي المكي في كتابه (الكبائر) : إن بناء القباب على القبور من الكبائر المحرمة بالنص الصريح ، وإن الواجب على ملوك المسلمين وأمرائهم و ولاتهم أن يهدموا هـــذه القباب (٥) . و قال المحدث على القاري : و يجب الهدم وإن كان

(١) صحيح مسلم : ج/١ ، ص/٢١٢ . (٢) روح المعاني : ج/١٥ ، ص/٢٣٨ .
(٣) شرح مسلم النووي : ج/١ ، ص/٢١٢ . (٤) فتح المجيد : ص/٢٤٤-٢٧٩ .
(٥) تعليق فتح المجيد : ص/ ٢٤٦ .





مسجداً (١) .

فمن الأسف الشديد أن كثيراً من المسلمين في زماننا يفعلون في أضرحة الأولياء وقبور المشايخ ما يفعله عبدة الأصنام بأصنامهم من تعظيمها وتمريغ الجباه فيها واتخاذها مساجد وإيقاد السرج وارخاء الستور وبناء القباب عليها وطلب الحوائج من أهل القبور والاستغاثة بهم واعتقاد أن لأهل القبور - وهم الموتى الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً - قدرةً على دفع الضر والبلاء وقضاء الحاجات ، ومثل إلى ذلك من البدع والشركيات التي صب الإسلام الحنيف جام غضبه عليها ، واستفاضت النصوص عن النبي -ﷺ- بالنهى الأكيد عنها والتغليظ الشديد فيها ، كما مر آنفاً والحديث الموجز عن ذلك ، وما شعر هؤلآء القبوريون أن هذا عين المحادة لله ولرسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله سبحانه وتعالى ، أعاذ الله تعالى جميع المسلمين من أمثال هذه الشركيات المظلمة والضلالات الخبيثة .

**القسم الثامن ، الذبح والنذر لغير الله :** من الشرك الملعون الذي راج في عصرنا الذبح والنذر لغير الله من أهل القبور والأصنام ونحو ذلك ، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نخلص جميع أنواع العبادة له دون كل ما سواه ، فإذا تقرب أحد إلى غير الله بالذبح أو النذر أو غيرهما من أنواع العبادة فقد جعل لله شريكاً في عبادته . قال الله تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ٥٠) . وقال سبحانه : ﴿ فصل لربك وانحر﴾ (سورة الكوثر، الآية : ٢) . وقال رسول الله -ﷺ- : لعن الله من ذبح لغير الله ، رواه مسلم (٢) .

(١) مرقاة : ج/٢، ص/٢٧٢ . (٢) كتاب التوحيد والكشاف الفريد : ج/٢، ص/٢٢ . وصحيح مسلم : ج/١ ، ص/١٦٠ .

## حكم الحيوان المسمى والمنذور لغير الله :

قال الله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٧٣) . من الحقيقة ان الحيوان المسمى والمنذور لغير الله تعالى حرام ولو ذكر اسم الله عليه وقت الذبح ، لأنه قصد بذبحه التقرب إلى غير الله سبحانه ، نعم لوتيب عن ذلك - النذر لغيرالله - يكون ذلك الحيوان حلالاً ، كما صرح به عند تفسير هذه الآية ﴿ وما أهل به لغيرالله ﴾ حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي في (بيان القرآن) (١) . وحجة الإسلام قاسم النانوتوي في (مكاتيب قاسم العلوم) (٢) . وأكبر علماء الهند الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي في تفسير فتح العزيز (٣) . وفي الدر المختار من كتب الحنفية : ذبح لقدوم الأمير ونحوه كواحد من العظماء يحرم لأنه أهل به لغير الله ولو ذكر اسم الله تعالى ، وأقره العلامة ابن عابدين الشامي - رحمه الله - (٤) وفي بعض حواشي البيضاوي : كل ما نودي عليه لغير اسم الله فهو حرام وان ذبح باسم الله ، حيث أجمع العلماء لو ان مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتداً و ذبيحته ذبيحة مرتد (٥) .

---

(١) بيان القرآن : ج/١، ص/٩٧ .
(٢) معارف القرآن للكاندهلوي : ج/١ ، ص/٢٦٧ .
(٣) قال الشيخ عبد العزيز ما لفظه بالفارسية : ودر حديث صحيح وارد است كه ملعون من ذبح لغير الله : يعني هر كه بذبح جانور تقرب بغير خدا نمايد ملعون است خواه در وقت ذبح نام خدا بگيرد يانه ، زيرا كه چون شهرت داد كه اين جانور برائ فلاني است ذكر نام خدا وقت ذبح فائده نكرد (فتح العزيز: ج/١ ، ص/٧٢٩) . (٤) فتاوى الشامي : ج/٥ ، ص/٢٦٩ .
(٥) التفسير البيضاوي : ص/١٢٢ .





وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز عن تفسير ﴿ وما أهل ..إلخ ﴾ : وأصل الاهلال : رفع الصوت والاعلام ، فالمقصود بما أهل به لغير الله : ما اعلن عنه انه منذور به لغير الله ، سواء كان هذا الاهلال والاعلام قبل الذبح كأن يقال : هذه شاة السيدة فلانة والسيد فلان ، فيعرف الناس ذلك ، وإنها مهل بها لغير الله ولو سمى الذابح باسم الله ، فإن هذه التسمية اللفظية لاغية ، والعبرة بالاهلال الحقيقي بما انطوى عليه من قصد التقرب به لغير الله ، وكذلك أيضاً ما سمى من الطعام أو الشراب أو غيره نذراً و قربة لغير الله ، فكل طعام يصنع ليوزع على العاكفين عند هذه القبور والطواغيت باسمها وعلى بركتها هو مما أهل به لغير الله (١) .

وأما النذر فمعناه كما يقول اللغويون : هو ما كان وعداً على شرط أو أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر ، ومن الحقيقة أن العبادات بأسرها هي من خصوصياته سبحانه وتعالى ، ومن بينها النذر - وهو عبادة أيضاً - والله تعالى يقول : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾ (سورة الإنسان ، الآية : ٧) . لذا لا يجوز حمل الذبائح والنذور إلى الأولياء والشيوخ ، أو إلى زواياهم وأضرحتهم ، والشارع الحكيم قد نهى أن تحمل النذور إلى مكان فيه صنم أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية ، كما يفعل أمثال ذلك اليوم لأصحاب القبور والأضرحة من الشيوخ والأولياء ، ومن الناس من يعتقد أن المنذور لهم يملكون ويتصرفون في الأمور ، والحقيقة أنهم -أحياء كانوا أو أمواتاً- لا يملكون ولا يتصرفون في الأمور دون الله تعالى ، فاعتقاده ذلك كفر ، والعياذ بالله (٢) .

## القسم التاسع ، شرك الكهان والعرافين :

ومن الشرك الفاحش ما يقوم به الكهان والعرافون من أعمال الدجل والضلال ، كإخبار الكاهن عن المغيبات في المستقبل أو إخباره عما في ضمير الإنسان ، وكدعوى العراف معرفة الشئ المسروق ومكان الضالة .

---

(١) تعليق فتح المجيد : ص/١٥١ .
(٢) ملخص من الكشاف الفريد : ج/٢، ص/٢٤-٢٦ .

وفي الصحيحين ومسند أحمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت سئل رسول الله -ﷺ- عن الكهان ، فقال : ليسوا بشئ (١) ، وعن النبي -ﷺ- أنه قال : من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ، رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) .

فالإسلام قد نهى وحذر المسلمين من الذهاب إلى العرافين والكهان وتصديقهم ، لأن فيه اثبات علم الغيب لهم ، ومن الحقيقة ان علم الغيب من خصائص الألوهية لا غير ، فعلى المسلمين أن يتخلصوا من ربقة هؤلآء الدجالين وأن يحموا عقائدهم من ضلال الشرك والوثنية .

**ثم نقول بالإجمال** : إن للشرك أنواعاً آخر ، منها الاشتغال ببعض السحر ، فقد قال الرسول -ﷺ- : من عقد عقدةً ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ، رواه النسائي . وعن بجالة ابن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال : فقتلنا ثلاث سواحر ، رواه البخاري في صحيحه .

ومنها عمل بعض الرقى وتعليق بعض التمائم ، فقد حذر رسولنا -ﷺ- من اختيار هذه الأعمال الشركية و ويلاتها ، فقال : إن الرقى والتمائم والتولة شرك ، رواه أحمد وأبو داؤد ، وقال أيضاً : من علق تميمة فقد أشرك ، رواه أحمد (٣) .

فعلى جميع المسلمين أن يتجنبوا كل الأعمال الشركية الفاسدة والعقائد الزائغة الباطلة وأن يكونوا متبعين لا مبتدعين ، لأن الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع ، وأن يعتقدوا أن الله سبحانه وتعالى هو الكفيل بقضاء الحاجات وتحقيق المطالب وإغاثة المكروب ودفع الضر والبلاء .

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبارك وسلم تسليماً كثيراً .

.....

(١) الكشاف الفريد : ج/٢ ، ص/٤٠ .
(٢) كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد : ص/٢١
(٣) ملخص من المجلد الأول من الكشاف الفريد وكتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد : ص/١٢٥-١٣٠ .



**أهمية الإيمان وضرورته للإنسان :**

# الإيمان الصحيح الذي نريده

[الحلقة الرابعة الأخيرة]

بقلم : فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر بن مفرح
ابها (المملكة العربية السعودية)

سؤال يطرح نفسه بعد أن عرفنا أهمية الإيمان لهذا الإنسان وعرفنا الطرق والممارسات التي سلكها الإنسان في البحث عن الإيمان ، هذا السؤال ما هو الإيمان الحقيقي الذي يرضاه الله من الإنسان ، والجواب على هذا السؤال هو أن الاءيمان ليس بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر في القلوب وصدقه الإيمان ، وتعريفه عند أهل السنة والجماعة هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل وتطبيق بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .

فليس الإيمان مجموعة من المعارف الذهنية والإدراكات العقلية ، فكم من قوم عرفوا ولكنهم لم يؤمنوا ، يقول الله عن قوم فرعون : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ ويخبر الله عن الكفار أنهم كانوا واثقين من صدق الرسول -ﷺ- ولكن جحودهم وعنادهم حملهم على الكفر والرفض لهذا الدين ، يقول عزوجل : ﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ ، وليس الإيمان مجرد إدعاء بأنك أيها الإنسان مؤمن ، فإن الادعاء سهل ولكن الإدعاء لا يثبت إلا ببينة وبرهان ، ولقد

كذب الله أقواماً ادعو الإيمان فقال : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ .

وليس الإيمان مجرد اتيان الإنسان بالشعائر التعبدية الظاهرة فقط ، فكم من أقوام يمارسونها وقلوبهم خراب من الإيمان خاوية من الهدى ، لقد كان المنافقون يصلون ويتصدقون بل ويجاهدون ولكن لم ينفعهم ذلك لأن الخراب والفساد متغلغل في داخل قلوبهم ، يقول عزوجل : ﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ، ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ فالله أثبت لهم في هذه الآية أنهم كانوا يصلون ولكن مع الكسل وينفقون ولكن على كره ، ومع هذا فهم كفار بالله وبرسوله .

## أجل ما هو الإيمان ؟

لقد عرف رسول الله -ﷺ- الإيمان لجبريل - عليه السلام - حينما جاءه يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان في الحديث الصحيح ، وأخبره أن الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشره من الله تعالى .

وعلى هذا فإن الإيمان هو عمل قلبي وقناعة ذاتية تنبع من داخل النفس وتبلغ أغوارها ، ثم تحيطها من جميع جوانبها الثلاثة : الإدراك ، الإرادة ، الوجدان .

## الجانب الأول : الإدراك

الإدراك الذي يعرف به الإنسان حقائق الإيمان كلها من كتاب الله ومن سنة رسوله -ﷺ- بحيث يحصل القطع والجزم بصحة ما ورد عن الله





وعن رسوله بشكل يبعث على الإذعان والاستسلام والانقياد لجميع تعليمات الشرع فلا يرفع المؤمن رأسه على أي أمر من أوامر الله ، وإنما يخضع ويسلم ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ . ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ .

إن المؤمن إذا سمع أن الله حرم الغناء انتهى وتركه ، ولكن المنافق لا ينتهي وإنما يجادل ويقول لك ماذا في الغناء ؟ فإذا قلت له : إنه يزرع النفاق في القلب ويصد عن ذكر الله ، ويفسد عليك أخلاقك ويحرضك على الزنا والجريمة ، قال لك أبداً انا أسمع الأغاني من هنا وتمترج من هنا والإيمان في القلب ، هذا مغالط وكذاب ما آمن بالله حق الإيمان ، يقول الله عزوجل : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ .

## الجانب الثاني : الإرادة

إرادة صادقة جادة تبعث على الانصياع لكل أوامر الله ، فيقوم الإنسان المؤمن بها ، من عقيدة صافية وصلاة وصيام وزكاة وحج وبر وذكر لله وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وحب في الله وبغض في الله وجهاد في سبيل الله ، وتبعث على البعد عن كل ما حرم الله ، فيحفظ الإنسان قلبه عن الشهوات والشبهات والغضب والحقد والحسد والكبرياء ويحفظ عينيه عن النظر المحرم ، وأذنه عن السماع المحرم ، ولسانه عن الكذب والغيبة والنميمة والفجور ، والسباب والشتائم ، ويحفظ بطنه من أكل الربا والرشا والخبائث والمحرمات ، ويحفظ فرجه عن مقارفة الزنا واللواط ، ويحفظ يده فلا تمتد إلى سرقة أو قتل أو حرام ويحفظ رجله

فلا تحمله إلى حرام .

وبالجملة فإن إرادات الإنسان وتصرفاته تصبح خاضعة لأوامر الله ونواهيه وتوجيهاته .

**الجانب الثالث : الوجدان**

بأن يحترق هذا القلب على الدين فيعيش الإنسان لدينه ويموت في سبيله ويغضب من أجله ويفرح من أجله ويوالى فيه ويعادي فيه ، ويصبغ حياته كلها ، من أولها إلى آخرها ، على منواله ويبرمج أموره على ضوئه فالمؤمن ، تعرف الإيمان في وجهه وفي جليسه وفي مشيته ، تركب سيارته فتشعر بالإيمان وتسمع شريطه فتحس بالإيمان ، ترى الإيمان في كتابه وفي مجلته ، وفي شكله وفي غرفة نومه ، وفي طعامه ، وفي كل حياته لأنه خضع للإيمان .

هذا هو الإيمان الذي نريده ، أما أن ندعى الإيمان ثم نقارف الأخطاء ، ونرتكب المعاصي ، ونترك الطاعات ونهجر المساجد ونهجر القرآن ونربى أولادنا على الأفلام والفساد ، ثم نزعم أن الإيمان فـــــي القلوب ، فهذه مغالطة واضحة .

إن الإيمان الذي في القلوب له أثره على الجوارح ، فإذا آمن القلب وصدق وخضع صلحت العين ، فلم تنظر إلى ما حرم الله ، وصلحت الأذن فلا تسمع ما حرم الله ، وصلح اللسان فلا يتكلم بما حرم الله ، وصلح الفرج فلا يقع فيما حرم الله ، وصلح البطن فلا يأكل ما حرم الله ، وصلحت اليد والرجل فلا تمتد إلى ما حرم الله « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » .

إن دعوى الإيمان لا تثبت إلا ببرهان ، والدعاوي الباطلة والادعاءات الكاذبة تذهب وتزول عند الامتحان ، يقول الله عزوجل : ﴿ ألم . أحسب





الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ ، إن تكاليف الشرع المثلة في أوامر الله وفي نواهيه هي اختبارات للمؤمن ، والإنسان أمام هذه الاختبارات إما أن يثبت وجوده ويبرهن على صدق إيمانه بالانقياد والاذعان لأوامر الله والابتعاد عن نواهيه فيكون مؤمناً صادقاً ، وإما أن يسقط في الطريق فيرتكب المحرمات ويترك الطاعات فهذا مفلس وكاذب ، وسيأتي يوم القيامة وليس معه إلا الأمانى التي هي رؤوس أموال المفاليس ، يقول الحق تبارك وتعالى مخبراً عن أهل الجنة وأهل النار : ﴿ يوم ترى المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم • يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب • ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني • حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور • فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾ .

هكذا كان مصيرهم لأنهم خدعوا أنفسهم بالأماني الكاذبة التي انخدع بها الكثير من الناس حين يدعون الإيمان ثم لا يبرهنون على هذه الدعوى بالعمل الصالح .

إذا أراد الإنسان أن يعرف مدى صدق إيمانه ، فليراجع حساباته ليفتش في سجلاته ، حتى يعرف مركزه الإيماني وأين هو من الله ، أين هو في سمعه ، وأين هو في بصره ، وأين هو في لسانه ، وأين هو في بطنه وفرجه ويده ورجله ، أين هو في بيته ومع زوجته ومع أولاده ، أين هو في

مكتبه وفي متجره وفي مسجده .

أين هو من الإيمان ، فإن كان على الإيمان والعمل الصالح في الليل والنهار والسر والجهار ، فليثبت فإنه على الحق ، وإن كانت الأخرى فليرجع إلى الله بتوبة صادقة ، قبل أن تفوته الفرصة ، وهناك لا ينفع الندم ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ .

**وعورة طريق الإيمان :**

إن طريق الإيمان ليس طريقاً ممهداً مفروشاً بالورود والرياحين ، إنه طريق صعب لاحب وشائك وطويل إنه صعود إلى أعلى عليين ، والصعود دائماً شاق ، يقول النبي -ﷺ- فيما رواه الحافظ المقدسي عن أبي ذر - رضي الله عنه - « يا أبا ذر أكثر الزاد فإن السفر طويل وخفف الحمل فإن العقبة كؤود وأحكم السفينة فإن البحر عميق وأخلص العمل فإن الناقد بصير » .

إن طريق الإيمان طريق التكاليف ، والمهمات والأعباء ، طريق الصبر والجهاد .

يقول ابن القيم -رحمه الله- : « يا ضعيف العزم الطريق شاق وصعب ، ناح فيه نوح ، وقذف فيه في النار إبراهيم ومررت السكين فيه على رقبة إسماعيل وشج فيه وجه النبي -ﷺ- وقتل فيه عمر وعثمان وعلي .

ولكن هذه الصعوبة فقط ، إنما تكون في البدايات حتى إذا ما واصل الإنسان سيره في طريق الإيمان شرح الله صدره للإيمان وثبته عليه وحببه إلى قلبه ، وعندها يشعر الإنسان بالأنس والراحة والطمأنية ، إن الإنسان سيجد صعوبة حينما يتوب إلى الله ، فيترك الأغاني مثلاً ، وسيجد مرارة في قلبه وهو يمر على الأغنية التي يعرفها في الماضي ، وسيجد صعوبة وهو يغض طرفه عن الحرام ، وسيجد صعوبة وهو يقوم





لصلاة الفجر ، ولكنها صعوبات مؤقتة تنتهي وتزول مع الاستمرار في السير على طريق الإيمان وهذا شئ طبيعي فإن كل عمل يمارسه الإنسان لأول مـــــرة يبدأ صعباً و شاقاً و لكنه يصبح سهلاً بعد ممارسة و الاستمرار فيه .

إن الطفل الصغير الذي يبلغ سنة من العمر يجد صعوبة في السير أول مرة ولا يقدر على نقل قدمه إلا بمشقة بالغة ، ويفرح أبوه وتفرح أمه ، إذا خطا الخطوة الأولى ولكن بعد أيام وأسابيع يستطيع هذا الطفل أن يركض في المنزل ويقوم ببعثرة الأغراض والأدوات المنزلية وهنا لا تجد أمه بداً من ربط قدمه في أحد الأبواب للحد من تحركاته .

وكذلك أنت يا أخي المؤمن يا من تريد أن تسير في طريق الإيمان ستجد صعوبة في الخطوات الأولى فقط ، ولكن بعد الصبر والمجاهدة تصبح الأمور سهلة ميسرة ، فعود سمعك على سماع القرآن وكفه عن سماع الغناء ، وعز سمعك إن هو ترك الغناء في الدنيا أن يسمع غناء الحور العين في الجنة ، وعز نظرك إن هو غض عن الحرام في الدنيا أن ينظر إلى وجه الله الكريم في الدار الآخرة .

عز نفسك وهي تصبر على الصلاة والصيام والزكاة والحج بأنها يوشك أن تضع هذه الأحمال ، و تدخل الجنة ويقال لها هناك ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ .

**دلائل وجود الإيمان الصادق :**

لقد حدد رسول الله -ﷺ- للأمة علامات ثلاث ، تدل على صدق الإيمان ، ووجود حلاوته في القلوب ، لمن توفرت فيه هذه الصفات .

فقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله -ﷺ- :

« ثلاث من كن في قلبه وجد بهن حلاوة الإيمان ، الأولى : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما أي أن تكون طاعة الله وطاعة رسوله -ﷺ- ، مقدمة على كل أمر وعلى كل طاعة ، وأحب إلى الإنسان من الدنيا كلها فلا يقدم على أمر الله أمراً آخر .

الثانية :أن يحب المرء لا يحبه إلا لله أي يبنى علاقاته و وشائجه على أساس من عقيدته فلا يحب إلا في الله ولا يبغض إلا لله ، يقول تعالى : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » .

الثالثة : أن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ، وهذه تمثل قاعدة الثبات على دين الله لأن العبرة بالخواتيم ، فالمؤمن إذا ذاق طعم الإيمان ثبت عليه ولم يرجع عنه ولو حرق أو قطع .

نسأل الله في الختام أن يرزقنا الإيمان الصادق وأن يحببه إلينا وأن يزينه في قلوبنا وأن يثبتنا عليه حتى نلقاه كما نسأله عزوجل أن ينصر دينه ويعلى كلمته ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

.....



دراسات وأبحاث :

# التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس

[الحلقة الثانية]

الدكتور عبد الحليم عويس
ستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

فمع بداية القرن الخامس الهجري وبداية انحلال الرابطة الأموية وتمزق الأوضاع ظهر التكالب المادي في أسوأ صوره ، فعند ما ولي محمد بن هشام بن عبد الجبار عن طريق السوقية والعامة : سر أهل قرطبة بولاية محمد بن هشام (١٦ جمادى الآخرة ٣٩٩هـ) - على حساب الخليفة الرسمي هشام بن الحكم - سروراً عظيماً ، وأحدثوا برحاب قرطبة وأرباضها ولائم وأعراساً ، وداموا على ذلك أياماً تباعاً ينتقلون من موضع إلى موضع بالمزامر والملاهي ، راجين تمام أملهم وانتظام أمرهم فأتاهم القدر بخلاف ذلك (١) .

وبفساد سياسة ابن الجبار وبغضه للبربر والنيل منهم في مجالسه ، اشتعلت الفتنة بقرطبة بين البربر والعامة ، وأمر ابن عبد الجبار أن ينادى في الناس : من أتى برأس بربري فله كذا ، فتسارع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه طمعاً في المادة ، فلم يبق تاجر ولا جندي إلا اجتهد في القتل والنهب ، ودخلوا على وسنار البرزالي ، وكان محمد له آثار جميلة في الجهاد فذبحوه على فراشه في داره ، وقد نهبت ديار البربر وهتك حريمهم و سبى نساؤهم ، و باعوهن في دار البنات و قتلوا النساء

(١) ابن عذارى : البيان المغرب . ٢/٧٤ .

والحوامل (١) .

وكان مقام البربر بالزهراء فكان أهل قرطبة - في فترة الفتنة - لا يألونهم إلا شراً، وكل من وجدوه منهم في خلوة أو منفرداً قتلوه غيلة (٢)، بتأثير التكالب المادى وضعف الدين وغيبة الشريعة الحاكمة والحاكم الصالح .

ولئن كانت قرطبة قد نجحت في عصر الطوائف على يد بنى جهور من هذا السعار المادي - إلى حد كبير - فإنها كانت كالزهرة المفردة في حديقة من الأشواك ، إذ أن أكثر مدن الطوائف كانت خاضعة لهذا السعار المادي بقيادة هؤلآء الملوك الصغار الذين قال فيهم الشاعر :

مهما يزهدني في أرض أندلس ألقاب معتضد فيها و معتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاضا صولة الأسد

فبالإضافة إلى ما ذكرناه عن أحوال اشبيلية في هذا العصر ، فإن مدينتي بلنسية وشاطبة الخاضعتين لمبارك ومظفر الملوكين العامريين قد سابقت في هذا الميدان ، فقد كان هذا العبدان عنيفين في تحصيل الأموال من الناس بغير حق فبلغت جبايتهما - كما يقول ابن عذارى المراكشي - في أول ولايتهما مائة وعشرين ألف دينار في الشهر يستخرجانها بأشد العنف من كل صنف حتى تساقطت الرعية ، وجلت أولاً فأولاً ، وخربت أقاليمهم آخراً .

أما مبارك والمظفر فقد سلكا سبيل الملوك الجبارين في إشادة البناء والقصور والتباهي في عليات الأمور إلى أبعد الغايات ومنتهى النهايات ، واشتمل هذا الاتجاه على جميع أصحابهما ومن تعلق بهما من وزرائهما

(١) ابن عذارى : البيان المغرب : ٢/٨١ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب : ٢/٩٢ .





وكتابهما ، فاحتذوا فعلهما في تفخيم البناء ، فهاموا منه في ترهات مضلة ، وتكسفوا في أشغال متصلة ، لاهين عما كانت فيه الأمة يومئذ ، كأنهم من الله على عهد لا يخلفه (١) .

ويتابع ابن عذاري وصفه لهذا التكاثر المادي الذي أعمى أصحابه عن كل معنى من معاني الآخرة ، وعن كل قيمة من قيم الإسلام ، وعن كل إحساس بالمسئولية الإسلامية نحو الأمة المسلة المنكوبة ، ولا سيما الأندلس الممزقة .. فيقول (٢) :

" واتسع الخرق في عظيم ذلك الإنفاق ، فمنهم من قدرت نفقته على منزله مائة ألف دينار وأقل منها وفوقها حسب تناهيهم في سردها ، وبعثر عن ذخائر الأملاك لقصيدهم ، وضرب تجارها وجوه الركاب نحوهم ، حتى بلغوا من ذلك البغية ، فما شئت من طرف رائق وملبس رفيع جليل وخادم عجيب نبيل وآلات مشاكلة وأمور متقابلة تروق الناظرين وتغيظ الحاسدين جرها لهم المقدار إلى مدة .

وكان لمبارك ومظفر جنة ذلك النعيم وفازا بعنصر الخراج ، ولم يعرض لهما عارض اتفاق بتلك الآفاق ، فانغمسا في النعيم إلى قمم لرؤوسهما وأخلدا إلى الدعة وسارعا في قضاء اللذة حتى أربيا على من تقدم وتأخر .

وفي سرقطة في عصر الطوائف بالإضافة إلى اشبيلية وبلشية وشاطبة ، مال منذر بن يحيى صاحبها إلى السكون والدعة ، وأبطل رسوم الجهاد وتقرب إلى النصارى حتى يسالموه ، وتفرغ - بذلك - للترف هو ومن يلوذون به ، وعند ما قتله رجل من بني عمه يدعى عبد الله بن حكيم غرة ذي الحجة ٤٢٠هـ ، استطاع هذا القاتل أن يهرب - بعدملاحقته - بفاخر

(١) البيان المغرب : ٢/١٦٠ .
(٢) البيان المغرب : ٢/١٦١ .

ما اشتمل عليه قصر منذر من ذخائر الأموال ، ونهبت العامة بعد هروب القاتل القصر ، فأخذوا منه كثيراً من النفائس حتى قلعوا مرمره وطمسوا أثره (١) .

وممن نزوا على أطراف الأندلس ابن الأصلع هذيل بن خلف صاحب السهلة ، وهي خصبة في موقع متوسط بين الثغرين الأقصى والأدنى من قرطبة فكثر ماله ، حتى أصبح أكثر ملوك الطوائف همة في اكتساب - آلات اللهو - وهو أول من بالغ الثمن بالأندلس في شراء القينات المشهورات ، فكانت ستارته أرفع ستارات الملوك في الأندلس (٢) .

وعلى هذا النهج كانت أوضاع المدن الأندلسية الطائفية ، مما يصعب استقصاؤه في هذا البحث الوجيز ، فكان ذلك - إلى جانب عوامل أخرى - سببا في ضياع طليطلة - قبل الأندلس ، وانهيار بقية المدن ، واستعدادها للسقوط لو لا أن قيض الله - بكرمه - المرابطين ، ثم الموحدين فحموا الأندلس من السقوط نحو قرنين ، إلى أن هزم الموحدون بقيادة الخليفة الناصر أمام الأذفونش وجيوشه الأوربية في موقعة العقاب يوم الاثنين الخامس عشر من صفر٦٠٩هـ (١٦ تموز ١٢١٢م) (٣) .

وبعد هذا التاريخ بدأت المدن الأندلسية تتداعى أمام النصارى .

ولم تستطع أن تفلت من هذا المصير - إلى حين - إلا مدينة غرناطة التي استطاع أبو عبد الله بن يوسف المعروف بابن الأحمر - أن يحتفظ بها وببعض المناطق في جنوبي الأندلس ، مكونا ما عرف في التاريخ

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب : ٢/١٨٠ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب : ٢/١٨٢ .
(٣) عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي : ص/٤٩٢، دارالقلم ط.١/١٣٩٦هـ .





باسم مملكة غرناطة ، أو « الأندلس الصغرى » سنة (٦٣٥-٨٩٧هـ) .

.....

وكان المأمول أن يدرس ملوك غرناطة ما أصاب المسلمين في الأندلس ، وأن يقفوا على العوامل التي أدت بالأندلس إلى هذا المصير ويتجنبوها ..

لكن شيئاً ملموساً من ذلك لم يقع ..

ولقد أنعم الله على غرناطة خلال حياتها الطويلة بظروف مناسبة لإعادة مجد الأندلس في ظل عوامل سلبية كثيرة أحاطت بخصومهم النصارى ، وفي ظل قوة تمتع بها إخوانهم في الإسلام بنو مرين حكام المغرب الأقصى ؛ الذين ساعدوهم في كثير من الأحايين ..

لكن الجانبين : المريني والنصري ، لم يخططا التخطيط السليم - في ظل إدراك واع بالظروف المحيطة - لمثل هذا الإنجاز العظيم .. وبالتالي تعاودت عوامل السقوط التي امتظمت الأندلس من قبل على سقوط غرناطة ..

وكان التكاثر المادي وما يتبعه من ترف ولهو واستنزاف للطاقة وإبعاد للأمة عن عوامل النهضة الحقيقية - واحداً - من تلك العوامل التي عملت عملها في سقوط غرناطة وفي خروج المسلمين جميعاً من أسبانيا أشنع خروج عرفه التاريخ !!

أجل : لم يكن لدى ملوك غرناطة الطموح الإسلامي الرفيع الذي يدفعهم كي يحافظوا على حدود مملكاتهم في وسط هؤلاء الأعداء المحيطين بهم من كل جانب ، فقد جعلوا همهم - أيضاً - أن يرتقوا بمدينتهم الرقي المادي المعروف ، وأن يجعلوها المدينة المتفوقة مدنياً في المجالات المعمارية والصحية والترفيهية ، فلم تكد تمضى سنوات بعد إنشاء ابن الأحمر لمملكة غرناطة إلا وقد اشتبكت عمارة بلاده ، واستطاع بمعاونة

العلماء الذين وفدوا على غرناطة من المدن الإسلامية التي سقطت في يد النصارى - أن يستخرج المعادن ويستفتح أرصاد كنوز الطبيعة ، وبنى قصر الحمراء فوق شرف من الأرض تحيط به قمم عالية صعبة المنحدر تتدفق في سفحها الشمالي مياه نهر حيدرو (درو) وقد حصن القصر بأسوار غطيت بالمرمر ، و شدت عند كل مسافة بحصون تشرف عليها (١) .

وكان للمهندسين المعماريين والفنانين والبنائين بخاصة - شأن كبير في غرناطة ، مما يدل على طبيعة الاتجاه المادي الذي عليه النهضة الغرناطية .

وعلى يد هؤلآء بنيت الحمراء التي موهوا حيطانها بالزخرف الذهبي البديع ، وزينوها بالأشكال المصبوبة ذات الهندسة العربية الفائقة التي لا تزال إلى اليوم موضع عجب الفنانين في أنحاء العالم وإعجابهم .

وقد وصلت عمارة الأندلس غايتها في عهد محمد الخامس من بني الأحمر ، إذ اشتعلت الفتن بين مملكتي قشتالة وأراجون النصرانيتين ، وانتهز محمد الخامس هذا الهدوء بين النصارى والمسلمين ، وكان هو نفسه ميالا للدعة ، فارتقى بغرناطة - من الناحية المادية والمعمارية - حتى غدت أكثر الممالك رقيا وازدهاراً (٢) ، ولم يعمد إلى استغلال الفرصة لتقوية بلاده وإعادة مجدها بالتعاون مع بني مرين ، فضلاً عن الاهتمام بالإسلام ودعوته وصناعة الرجال الأكفاء ، بل صرف همه إلى

(١) عبد الحميد العبادي : المجمل في تاريخ الأندلس : ص/١٧٢ ، دار القلم ، ط. ٢/١٩٦٤م - القاهرة .
(٢) العبادي .. المجمل : ص/١٧٣ .





النواحي الفنية والمعمارية ، وانصرف الناس تبعاً له إلى الآداب والفنون وعظمت العمارة في غرناطة ، وتم ذلك كله في ظل تفكك أعدائه في قشتالة وأراجون ، وقوته النسبية أمام ضعفهم .

وبعد محمد الخامس توالي ملوك من بني الأحمر مرنوا على الترف والقصور الفارهة ، ولم تكن لهم قوة أسلافهم الذين كانوا قريبن من مأساة سقوط الموحدين والمدن الأندلسية ، وبالتالي كان لديهم شعور بالخطر والحذر !! وكانت سنة الله ماضيةً على نهجها الذي يعرفه أصحاب البصائر والفقه الحضارى ، فقد زامن هذا الانحلال والترف الذي أصاب ملوك غرناطة - أن سلط الله عليهم عدوهم ، فبدأت عوامل الوحدة والقوة تتجمع في أسبانيا النصرانية ، وانتهت مسيرة الأحداث إلى أن تزوج (فرديناند) ملك أرجون من (ايزابيلا) ملكة قشتالة ، واتحدت المملكتان فكان هذا الاتحاد أكبر انتقام من الله لهؤلآء الملوك المترفين الذين نسوا الله فنسيهم ، وسلط عليهم عدوا يسلبهم ما أنفقوا فيه أعمارهم ، - ونسوا بسببه - دينهم ورسالتهم .

.....

ومع تقديرنا لكل الأسباب الداخلية والخارجية التي لا يمكن تجاهلها ، والتي أدت - في النهاية - إلى سقوط الأندلس وغرناطة ..

ومع أننا نؤمن بأن أسباباً كثيرة تتفاعل - وقد تفاعلت فعلا في حالة غرناطة - كي تصل بالدولة - أو الأمة - إلى السقوط ، ولا يكفي سبب واحد - مادي أو معنوي - لسقوط الأمة أو الحضارة ..

مع أننا نأخذ كل ذلك في تقديرنا ، ونؤمن بأن سقوط غرناطة كان حصاد عوامل كثيرة ، من أبرزها نسيان العقيدة والرسالة الدينية والحضارية التي قامت عليها الأندلس ، وانتصر بسببها جيش الفتح

المكون من أخلاط من البشر الذين لا توحدهم إلا العقيدة ، ولم يكن يزيد عددهم عن عشر الجيش النظامي الذي يقاتلونه .. فضلا عن ضآلة إمكاناتهم التي قاتلوا بها تحت قيادة البطل المسلم البربري العظيم طارق ابن زياد ..

مع أننا نأخذ كل ذلك في تقديرنا إلا أننا نعتقد أن (التكاثر المادي) والتكالب على وسائل الترف من قصور وحدائق ومدن ملكية وأساليب فنية وترفيهية تزيد عن الحدود التي رسمها الإسلام ، وتستنزف طاقة الأمة وتصبغ الحياة صبغة مادية ناعمة مترفة .. نعتقد أن هذا السبب - بكل آثاره السلبية المادية والمعنوية - كان من أقوى الأسباب في سقوط الأندلس وغرناطة ..

بل إننا لنعتقد أن هذا السبب ظل يعمل عمله الخبيث ويطغى على بقية الأسباب حتى أصبحت المادة صنما يعبده هؤلآء المترفون ، واتجاها منحرفا يقيسون به الرقى الحضاري ، متجاهلين صناعة الإنسان وفاعليه العقيدة ، ومعاني الأخوة الإسلامية .. و واجبات الإنسان المسلم الحضارية تجاه المسلم وتجاه الإنسانية كلها ..

ومن منطلق طغيان هذا الاتجاه ازدري الأندلسيون إخوانهم المرابطين عند ما ساعدوهم ، وحكموا بلادهم ، وكانوا ينظرون إلى أنفسهم - مع كل تفككهم وهوانهم على أعدائهم وتآكلهم وانحلالهم - على أنهم أرقى من المرابطين ، وقد كانوا يستثقلون ظل المرابطين (البدو) ويشعرونهم بالإهانة ، وهم لا يدرون أنهم - بهذا - يهدمون قيم الأخوة الإسلامية ، وينظرون إلى الحضارة من منظور المدنية المادية وحدها .

[يتبع]



٩٧٨٨
١٠٨٢١٨

# الفرق بين القرآن الكريم والحديث بقسميه

الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

إن أردنا أن ندرك التفرقة بين القرآن الكريم والحديث بقسميه ، ونبحث عنها ، ونتدبرها ، فلابد لنا أولاً من أن نرجع إلى تعريف كل من القرآن والحديث بقسميه ، وبذلك نستطيع أن نفصح القول في بيان التفرقة ، وإبراز الميزات والخصائص التي يختص بها الأول دون الثاني والثالث ، ذلك لأن كل لفظ له طابع خاص يصعب فهمه على الإنسان ، ويتعسر ، إلا بطريق التعريف به ، ثم إنه لا يستسيغ لعالم أن يحكم على شئ حكماً فصلاً قبل معرفته .

**القرآن :** لغة : مصدر للقراءة ، ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ (سورة الإسراء ، الآية : ٧٨) . وفي تسميته بهذا الاسم إشارة إلى حفظه في الصدور ، لأنه مصدر للقراءة ، وفي القراءة استذكار (١) .

اصطلاحاً : هو كلام الله المعجز ، المتحدى بأقصر سوره ، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ، بواسطة الأمين جبريل - عليه السلام - ، المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس (٢) .

**الحديث القدسي :** الحديث لغة : ضد القديم ، و القدسي : نسبة إلى القدس ، وهي نسبة تدل على التعظيم .

اصطلاحاً : هو ما يضيفه النبي -ﷺ- إلى الله تعالى أي أن النبي -ﷺ-

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة قرأ .

(٢) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن .

يرويه على أنه من كلام الله ، فالرسول راو لكلام الله .

هذا ، وقد اختلف العلماء في الحديث القدسي هل اللفظ والمعنى من عند الله أو المعنى فقط ؟

١- قال الجمهور : إن المعنى من عند الله واللفظ من عند النبي -ﷺ- .

٢- وقال بعضهم : إن اللفظ والمعنى من عند الله .

**الحديث النبوي :** هو ما نسب أو أضيف إلى النبي -ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلقية :

**القول : مثل :** عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -ﷺ- : إنما الأعمال بالنيات وإنما لأمرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه (متفق عليه) .

**الفعل : مثل :** عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال : قال لنا رسول الله -ﷺ- : صلوا كما رأيتموني اصلى وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم (متفق عليه) .

**التقرير : مثل :** عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : أكل الضبُّ على مائدة رسول الله -ﷺ- وإنما تركه رسول الله -ﷺ- تقذراً (رواه الترمذي) .

**الصفة الخُلقية : مثل :** عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله -ﷺ- : لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله (رواه الترمذي في شمائله) .

**الصفة الخلقية : مثل :** عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله -ﷺ- ربعة وليس بالطويل ولا بالقصير حسن الجسم وكان شعره ليس بجعد ولا سبط أسمر اللون إذا مشى يتكفأ (رواه الترمذي في شمائله) .





**جهة الاتفاق :** أود قبل الغوص في البحث عن التفرقة بين القرآن الكريم والحديث بقسميه أن نفكر في جهة الاتفاق ، ونتبصر فيها ، إن كانت هناك جهة اتفاق ، فيلتقي القرآن الكريم والحديث بنوعيه ، ويشتركان في كونهما بالألفاظ العربية ، والحديث على عمومه إن لم يكن من الوحي ولكنه جاء من سبيله ، وإن لم يكن له منه فقد كان هو من دليله : ﴿ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (سورة النجم ، الآية : ٢-٤) . وإذا أرانا القرآن الكريم أنه خطاب السماء للأرض ، أرانا الحديث أنه كلام الأرض بعد السماء .

**جهة الاختلاف :** الآن يمكننا أن نحدد الفروق بين القرآن الكريم والحديث بقسميه :

أولاً : الفرق بين القرآن والحديث القدسي .

عند ما نفكر في التعريف ، تعريف القرآن الكريم والحديث القدسي ، تبدو لنا عدة فروق وهي فيما يلي :

١- القرآن الكريم كلام الله أوحى به إلى رسول الله بلفظه ، وتحدى به العرب ، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله ، أو بسورة من مثله مع تمتعهم باللسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام ، والحديث القدسي لم يقم به التحدى والإعجاز .

٢- القرآن الكريم جميعه منقول إلينا بالتواتر ، والأحاديث القدسية أكثرها أخبار آحاد .

٣- القرآن الكريم تكفل الله تعالى بحفظه من التغيير والتبديل أبداً إلى يوم القيامة ، فقال عزوجل : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لحافظون ﴾ (سورة الحجر ، الآية : ٩) .

٤- القرآن الكريم متعبد بتلاوته فهو الذي تتعين القراءة به في الصلاة ، والحديث القدسي لا يجزئ في الصلاة ، وقراءة القرآن الكريم عبادة يثيب

الله عليها بما جاء في الحديث : « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها . لا أقول ﴿ ألم ﴾ حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف . (١) ، وأما قراءة الحديث القدسي فيثيب الله عليها ثواباً عاماً .

٥- القرآن الكريم لا يمسه إلا طاهر ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ (سورة الواقعة . الآية : ٧٩) . ولا يقرؤه الحائض والنفساء والجنب ، والحديث القدسي يمسه طاهر وغير طاهر ويقرؤه الحائض والنفساء والجنب .

٦- القرآن الكريم لو أنكر بعضه أحد أو أهانه كفر ، بخلاف الحديث القدسي والحديث النبوي فمن أنكر بجملتها فقد كفر ، لأنه أنكر أمراً معلوماً بالدليل ومن أنكر أمراً معلوماً بالدليل فقد أنكر شيئاً أمرنا باتباعه : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (سورة الحشر. الآية : ٧) .

**ثانياً :** الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي :

بالتدبر في التعريف ، تعريف الحديث القدسي والحديث النبوي الشريف ، يتبين لنا أن الحديث القدسي معناه من عند الله ولفظه من الرسول -ﷺ- وأما الأحاديث النبوية فإنها بحسب ما حوته من المعاني تنقسم إلى قسمين :

١- توفيقي . ٢- وتوقيفي .

**١- توفيقي :** هو ما استنبطه النبي -ﷺ- بفهمه وبتأمله في حقائق الكون وهذا القسم ليس كلام الله وليس من الوحي قطعاً ، مثل حديث تأبير النخلة . قدم نبي الله -ﷺ- المدينة وهم يأبرون النخل فقال : ما تصنعون ، قالوا : كنا نصنعه ، قال : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً

(١) رواه الترمذي .





فتركوه فنقصت قال : فذكروا ذلك له . فقال : « إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشئ من أمر دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشئ من رأيي فإنما أنا بشر» (١).

**٢- توقيفي :** هو ما تلقاه الرسول -ﷺ- مضمونه من الوحي فبينه للناس بكلامه . وهذا القسم إن كان ما فيه من العلوم منسوباً إلى معلمه سبحانه لكنه من حيث هو كلام جدير بأن ينسب إلى الرسول -ﷺ- لأن الكلام إنما ينسب إلى واضعه وقائله .

والأحاديث النبوية تعالج جميع القضايا التي تمس حياة الإنسان ، وأما الأحاديث القدسية فمعظمها بل أكثرها في المواعظ والحكم .

بناءً على ما عرضته من تفصيل أعتقد أن القرآن الكريم كتاب الله الخالد . الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . لا يضاهيه في هذه الميزة شئ . فهو أعلى منزلة وأشرف درجة من الحديث النبوي والحديث القدسي . ويليه في المنزلة الحديث القدسي ثم الحديث النبوي الشريف .

وقد بين القرآن الكريم في وضوح مكانة حديث رسول الله -ﷺ- من القرآن الكريم حيث قال تعالى : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقومٍ يؤمنون ﴾ (سورة النحل . الآية : ٦٤) . وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (سورة النحل . الآية : ٤٤) .

فالحديث مبين لكتاب الله المعجز مفصل لإجماله موضح لإبهامه مخصص لعمومياته . شارح لمفاهيمه . وقد تكفل الله لرسوله بالبيان قال تعالى : ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ (سورة القيامة . الآية : ١٧-١٨) .

.....

(١) رواه مسلم .

للمناقشة العلمية :

الفقه الإسلامي :

# بحث في التقليد والتلفيق

[الحلقة الرابعة الأخيرة]

بقلم : فضيلة الأستاذ خالد سيف الله رحماني
تعريب : محمد رحمة الله الندوي الظفرفوري

## الفرق بين تقليد العامي والعالم :

ومن أهم قضايا باب التقليد التي لم تنل اعتناءاً كبيراً لدى العلماء ، سوى العلامة الدهلوي فإنه قد تناولها بكل إيضاح ، وهي « الفرق بين تقليد العامي وتقليد العالم » ، وقد قسم الفقهاء القائلين بالتقليد أقساماً عديدة وهي كما يلي :

١- **المجتهد المنتسب :** العلماء الذين قلدوا في الأصول والقواعد الأساسية ، غير أنهم يجتهدون في الأحكام الجزئية الفرعية ، مثل الإمام أبي يوسف ومحمد -رحمهما الله- ويقال لهم «المجتهد في المذهب» كذلك .

٢- **المجتهد في المسائل :** الذين يجتهدون في المسائل التي لم ينص عليها صاحب المذهب ، برأى ، مثل أبي بكر الخصاف ، والإمام أبي جعفر الطحاوي ، وإلا فهم يقلدون في الأصول والفروع كلتيهما .

٣- **أصحاب التخريج :** وهم أولئك الذين يفصلون الآراء المجملة المبهمة التي نقلت عن الطبقات الثلاث « المجتهد المطلق » و « المجتهد المنتسب » و « المجتهد في المسائل » أو هم يجددون معنى واحداً لو كانت آراؤهم تحتمل لمعان مختلفة ، وقد عد الإمام أبوبكر الجصاص - رحمه الله - منهم .

٤- **أصحاب الترجيح :** أولئك الذين يرجحون رأياً من الآراء المنقولة





عن أصحاب المذاهب ، ويعينون ما هو المفتى به ، مثل صاحب « مختصر القدوري » وصاحب « الهداية » .

٥- **المقلدون المميزون :** أولئك الذين هم لا يزالون مقلدين ، لا يقدرون على التخريج أو الترجيح غير أنهم يصلحون للتمييز بين الصحيح والسقيم والقوى والظاهر والشاذ ، مثل « صاحب الكنز » .

٦- **المقلدون العامة :** الذين لا يسعهم حتى التمييز بين القوى والضعيف ، كما ورد في الشامي : « لا يفرقون بين الغث والسمين ، ولا يميزون الشمال عن اليمين » (١) .

ويقتضى هذا التقسيم للمقلدين أنه لا مساغ « للمجتهد المنتسب » أن يخالف إمامه سوى المسائل الفروعية الجزئية ، والذين يلون هذه الطبقة لا يسع لهم أدنى خلاف من الإمام ، لكن يتبين بالدراسة العميقة أن المكتبة الفقهية تنفي هذه النظرية ، مثلاً : إن الإمام أبا يوسف ومحمداً - رحمهما الله - قد عدا من الطبقة « المجتهد المنتسب » ومع ذلك رأيهما يخالف رأي الإمام الأعظم في عديد من المسائل الأصولية ، وكذلك الأئمة من بعدهم مثل عصام بن يوسف وغيره تركوا قول إمامهم ، بإزاء بعض النصوص الصريحة القوية ، وقد سلك هذا المسلك العلامة الدهلوي وأبدى رأيه في هذا الموضوع بكل صراحة ، فيقول نقلاً عن خزانة الروايات : « فإن قيل : لو كان المقلد غير المجتهد عالماً مستدلاً يعرف قواعد الأصول ومعاني النصوص والأخبار ، هل يجوز أن يعمل عليها ، وكيف يجوز ، وقد قيل : لا يجوز لغير المجتهد أن يعمل إلا على روايات مذهبه ، وفتاوى إمامه ، و لا يشتغل بهـــا في النصوص و الأخبار و العمل عليها

(١) شرح رسم المفتي : ص/٢٢-٢٤ .

كالعامي . قيل : هذا في العامي الصرف الجاهل الذي لا يعرف معاني النصوص والأحاديث وتأويلاتها . وأما العالم الذي يعرف النصوص والأخبار وهو من أهل الدراية وثبت منه صحتها من المحدثين ، ومن كتبهم الموثوقة المشهورة المتداولة ، يجوز له أن يعمل عليها ، وإن كان مخالفاً لمذهبهم . ويؤيده قول أبي حنيفة ومحمد والشافعي وأصحابه - رحمهم الله تعالى - » (١) .

وبعد ذلك نقلت أقوال الأئمة المجتهدين التي تؤكد على ترك آرائهم بإزاء النصوص الشرعية ثم ينقل عن الخطيب فيقول : « وروى الخطيب بإسناده أن الداركي من الشافعية كان يستفتى وربما يفتي بغير مذهب الشافعي وأبي حنيفة . فيقال له : هذا يخالف قولهما . فيقول : ويلكم ، حدث فلان عن فلان عن النبي -ﷺ- هكذا . والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقولهما إذا خالفاه . وكذا يؤيده ما ذكر في الهداية في مسألة صوم المحتجم . لو احتجم وظن أن ذلك يفطره . ثم أكل متعمداً عليه القضاء والكفارة . لأن الظن ما استند إلى دليل شرعي . إلا إذا أفتاه فقيه بالفساد . لأن الفتوى دليل شرعي في حقه . ولو بلغه الحديث واعتمده فكذلك عن محمد . لأن قول الرسول -ﷺ- لا ينزل عن قول المفتي .. فقول الرسول -ﷺ- أولى . وعن أبي يوسف - رحمه الله - خلاف ذلك . لأن على العامي الاقتداء بالفقهاء لعدم الاهتداء في حقه إلى معرفة الأحاديث . وإن عرف تأويله تجب الكفارة . .. وأما الجواب عن قول أبي يوسف -رحمه الله - أن للعامي الاقتداء بالفقهاء محمول على العامي الصرف الجاهل الذي لا يعرف معنى الأحاديث وتأويلاتها ... انتهي « خزانة الروايات » .

(١) عقد الجيد : ص/٥٢-٥٢ .





ثم يواصل الكلام العلامة الدهلوي - رحمه الله - بعد نقل هذه المقتطفة الطويلة عن خزانة الروايات فيقول : « لا يجوز له العمل على الحديث بخلاف مذهبه لأنه لا يدري أنه منسوخ أو مأول أو محكم محمول على ظاهره » ثم يجيب على هذا السؤال بنفسه فيقول :

« ورد بأنه إن أراد عدم التيقن بنفى هذه الاحتمالات فالمجتهد أيضاً لا يحصل له اليقين بذلك . وإنما يبنى أكثر أمره على غالب الظن ، وإن أراد أنه لا يدري ذلك بغالب الرأى معناه في صورة النزاع لأن المتبحر في المذهب المتتبع لكتب القوم الحافظ من الحديث والفقه بجملة صالحة كثيراً ما يحصل له غالب الظن بأن الحديث غير منسوخ ولا مأول بتأويل يجب القول به ... وهو ما اختاره ابن الصلاح قال : « من وجد من الشافعية حديثاً يخالف مذهبه نظر إن كملت له آلة الاجتهاد مطلقاً أو في ذلك الباب والمسألة . كان له الاستقلال بالعمل به . وإن لم يكمل وسق مخالفة الحديث بعد أن يبحث . فلم يجد لمخالفته جواباً شافياً عنه . فله العمل به إن كان عمل به إمام مستقل . ويكون هذا عذراً في ترك مذهب إمامه ههنا » (١) .

وأضاف القول العلامة الدهلوي - رحمـــه الله - و كشف عن الغمة فيقول : إن الإنسان يجب عليه أن يأخذ بالدليل فإذا فات ذلك لجهله بالدلائل أقمنا اعتقاد أفضلية إمامه مقام الدليل .. ورد بأن اعتقاد أفضلية الإمام على سائر الأئمة مطلقاً غير لازم في صحة التقليد إجماعاً . لأن الصحابة والتابعين كانوا يعتقدون أن هذه الأمة أبوبكر ثم عمر ،

(١) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد : ص/٦٧-٧١ ملخصاً . طبع المطبعة المحمدية لاهور باكستان . عام ١٢٠٢هـ .

وكانوا يقلدون في كثير من المسائل غيرهما بخلاف قولهما ، ولم ينكر على ذلك أحد ، فكان إجماعاً على ما قلناه ، وأما أفضلية قوله في هذه المسألة فلا سبيل إلى معرفتها للمقلد الصرف » (١) .

ويرى هذا الفقير كاتب هذه السطور - أن التقليد يبتني على حسن الظن بالإمام ، وذلك أن رأيه سديد يحمل الخطأ ، ثم المقلد الذي لم يكن جاهلاً محضاً بل يطلع على أصول التطبيق والترجيح في الدلائل الشرعية ، وله خبرة بالمسائل التي أجمعت عليها الأمة أو اختلفت فيها ، وكذلك لديه علم بطائفة من النصوص الشرعية ، وهو يظن أن رأى إمامه يعارض الحديث الصحيح في مسألة فلانية فلا شك أن حسن ظنه به يزول ولا يبقى ، ومن ثم يتهدم ذلك الأساس الذي ابتنى عليه التقليد .

فخلاصة القول أن المقلدين الذين يلمون بروح الشريعة الإسلامية ورزقوا الفهم الصحيح للدين يسعهم العمل بنصوص الشريعة والترك لنصوص المذهب .

هذا وفيما يأتي نذهب بكم إلى الجزء المقارن للتقليد - وهو التلفيق - الذي لا يكتمل بحث التقليد دونه بل ينقصه شئ كثير .

**التلفيـــق :** وهو نوع من العدول الجزئي من مذهب فقهي إلى مذهب آخر ، والمراد به « القيام بعمل يجمع فيه بين عدة مذاهب ، حتى لا يمكن اعتبار هذا العمل صحيحاً في أي مذهب من المذاهب » (٢) ، غير أن العمل برأى عديد من الفقهاء في مسألتين مختلفتين لا يعد من التلفيق ، وإن كانتا مرتبطتين فيما بينهما .

(١) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد : ص/٦٧-٧١ ملخصاً ، طبع المطبعة الحمدية لاهور باكستان ، عام ١٣٠٢هـ .
(٢) معجم لغة الفقهاء : ص/١٤٤ .





وقد صرح بذلك الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي - رحمه الله - عن طريق ضرب المثال فيقول : « الممنوع أن يتركب حقيقة ممتنعة في مسألة واحدة .... لا في مسألتين ، كما إذا طهر الثوب بمـــذهب الشافعي ، وصلى بمذهب أبي حنيفة - رحمه الله - » (١) .

وكذلك لا بأس بأن يقلد عدة الفقهاء في مسألة واحدة لكن في مواضع مختلفة وأوقات عديدة مثلاً : « أما لو صلى يوماً على مذهب ، وأراد أن يصلى يوماً آخر على غيره ، فلا يمنع منه » .

**التلفيق في العبادات :** مثلاً إن دلك أعضاء الوضوء فرض لازم عند الإمام مالك - رحمه الله - ، والإمام الشافعي - رحمه الله - يرى عكسه ، ومس المرأة دون اشتهاء ينقض الوضوء عند الإمام الشافعي ، والإمام مالك - رحمه الله - يرى عكسه ، فلو توضأ رجل دون دلك الأعضاء ويقول : اختار ماقاله الشافعي ، وكذلك يمس المرأة دون شهوة ولا يعيد الوضوء ويقول : اختار ما قاله الإمام مالك في هذه القضية ، فلم يصح وضوؤه عن الإمام مالك ، ولم يبق عند الإمام الشافعي .

وكذلك مثلاً نكاح الجارية المحتلة (البالغة) لا ينعقد بدون حضور الولي عند الشوافع ، وينعقد ويصح عند الأحناف ، وحضور الشهود في النكاح أمر لازم عند الأحناف ، خلافاً للمالكية ، ولو اشترط أن لا يؤدي المهر (الصداق) لا يصح النكاح عند المالكية ويصح عند كل من الأحناف والشوافع ، فإن كان رجل ينكح بدون الولي وحضور الشهود وأداء الصداق ويعمل في كل مسألة بقول فقيه يصح نكاحه من وجهة نظره ، فهذا هو التلفيق ، وهو منهى عنه .

(١) عقد الجيد للعلامة الدهلوي - رحمه الله - : ص/٦٢

**المانعون عن التلفيق :** لا نجد ذكرٌ « التلفيق » قبل فقهاء القرن السابع للهجرة ، وقد تناوله بالذكر الفقهاء المتأخرون من حوالي القرن العاشر على وجه العموم (١) .

وقد نقل عن الإمام الحافظ ابن حجر - رحمه الله - الإجماع على منع التلفيق (٢) ، و وافقه على ذلك العلامة ابن عابدين الشامي فيقول : « وإن الحكم الملفق باطل بالإجماع » (٣) ، وكذلك روى عن الشيخ على الشافعي والعلامة القرافي المالكي المنع عن لتلفيق (٤) .

وغالب ما يستدل به على منع التقليد أنه يؤدي إلى خرق الإجماع ، مثلاً : قاء رجل وإنه مس امرأة فاتفق الأحناف والشوافع على أنه قد انتقض وضوؤه ، أما عند الأحناف فمن أجل القئ ، وعند الشوافع فلمسه المرأة ، فلو عمل ذلك الرجل بقول الشافعي - رحمه الله - في القئ وبقول الأحناف في مسألة مس المرأة فيصح وضوؤه ، مع أن كلا من الأحناف والشوافع قد أجمعوا على نقض وضوئه .

لكن هذا الدليل لا يصح من وجوه :

الأول : إن « خرق الإجماع » يعني ابتكار رأى ثالث في قضية لا يكون فيها إلا رأيان ، أما هنا فقضيتان مختلفتان ، قضية نقض الوضوء من القئ ، وقضية نقض الوضوء من مس المرأة .

الثاني : يتحقق « خرق الإجماع » عند ما خالفنا حكماً مجمعاً عليه ، أما هناك ، فتانك القضيتان تكونان قد اختلف فيهما ، فلا معنى لتحقق

(١) انظر للتفصيل : أصول الفقه الاسلامي المجلد الثاني : ص/١١٤٢ .
(٢) أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي : ٢/١١٤٢ .
(٣) الرد المحتار على الدر المختار : ١/٥١ .
(٤) أصول الفقه الإسلامي ، وكتاب تيسير التحرير : ٤/٢٥٤ .





« خرق الإجماع » .

الثالث : « الإجماع المركب » الذي يراد به اتفاق الفقهاء في جزئيه - في الجملة - رغم اختلاف الأسباب ، إنما هو لم يعد من الإجماع إلا لدى الأحناف ، وليس هو بمنزلة ذلك الإجماع الواقعي الذي يتفق عليه الأئمة مع الوحدة في السبب .

وأما ما ادعاه الحافظ ابن حجر والعلامة ابن عابدين الشامي من الإجماع على بطلان « التلفيق » فهذه دعوى بلا دليل ، وقد نقل الدكتور وهبة الزحيلي عن « التنقيح الحامدي » أن الشيخ الطرطوسي وأبا السعود كانا يقولان بجوازه ، وقد صرح بذلك الفقيه زين الدين بن ابراهيم المعروف بابن نجيم الحنفي - رحمه الله - في باب « بيع الوقف » ، كذا في الفتاوى البزازية ، وبه يقول ابن عرفه المالكي والعلامة العدوي ، ونقل العلامة البيجوري والشفشاوي الخلاف في الموضوع ورجح الجواز (١) .

**القائلون بالتلفيق :** واعتقد أن الإمام ابن الهام كان يرى جواز التلفيق ، وإنه قد نقل المنع عن بعض العلماء المتأخرين ، غير أنه لم يعلق عليه بشئ من رأيه ، ولم يسق الدلائل لإثباته طبق عادته في هذا الباب ، فيقول :

« وقيده المتأخرون بأن لا يترتب عليه ما يمنعانه ، فمن قلد الشافعي في عدم الدلك ومالكاً في عدم نقض اللمس بلا شهوة وصلى ، إن كان الوضوء بذلك صح ، وإلا بطل عندهما » (٢) .

وقد جوز شارح كتاب « تيسير التحرير» التلفيق ، ورد على مانعيه رداً عنيفاً فيقول :

« وهذا الفارق لا نسلم أن يكون موجباً للحكم بالبطلان ، وكيف نسلم ، والمخالفة في بعض الشروط أهون من المخالفة في الجميع ، فيلزم الحكم

(١) أصول الفقه الإسلامي : ٢/٤٩-١١٤٨ .
(٢) تيسير التحرير : ٤/٢٥٢ .

بالصحـــة في الأمون بطريق الأولى ، و من يدعى وجود فارق أو وجود دليل آخر على بطلان صورة التلفيق على خلاف الصورة الأولى ، فعليه البرهان » (١) .

وهذا ما يقول به العلامة الدهلوي - رحمه الله - فيقول :

« ومنهم من قال : لا يلفق ، بحيث يتركب حقيقة ممتنعة في مسألة واحدة مثل الوضوء بلا ترتيب ، ثم خرج منه الدم السائل ، لا في مسألتين ، كما إذ اطهر الثوب بمذهب الشافعي وصلى بمذهب أبي حنيفة ، ويتجه أن يقال : فيه بحث ، لأنه إن كان المقصود من هذا القيد أن لا يخرج مجموع ما انتحله من الاتفاق فهو حاصل في مسألتين أيضاً ، وإن كان المقصود أن لا يخرج هذه المسألة وحدها من الإجماع ، فيكفى عنه اشتراط كونه مذهباً ، للاجتهاد فيه مساغ كما يأتي » (٢) .

بلى إن الظروف الحاضرة لا تلائم وجواز التلفيق أخذاً بالحيطة ، فإنه يؤدي إلى فتح باب اتباع الهوى .

وما أسلفنا من التصريحات وآراء العلماء في باب التقليد فيها إشارة إلى اختيار مسلك متوازن وسط في هذا المجال ، دون أي إفراط حتى يتمكن كل من عصت مادته واقتعد غاربه الهوى ، من العمل بتفردات العلماء ، ولا أي تفريط حتى ننزل نصوص الكتب الفقهية منزلة نصوص الكتاب والسنة ، ونغض البصر عن مقتضيات العصر ومتطلبات الزمان واحتياجات الأمة .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، اللهم فقهنا في الدين وعلمنا التأويل ، واجعل آخرتنا خيراً من الأولى .

.....

(١) تيسير التحرير : ٤/٢و٣ .
(٢) عقد الجيد : ص/٦٢-٦٣ .



# البيئة التي نشأ فيها البحتري +

الأستاذ محمد صهيب الصديقي
القسم العربي بجامعة عليكراه الإسلامية (الهند)

إن للمناخ والبيئة أثراً كبيراً في تكوين الذوق ، فإذا كانت البيئة خصبة رائعة ينشأ فيها الشاعر ذا قريحة وقادة وحس صادق يتمتع بجمال ونضارة ورقة وعذوبة تتجلى مظاهرها في أدبه وشعره ، وقد نشأ البحتري وترعرع في بيئة كانت خصبة زاخرة بجمال الطبيعة ومناظرها الجذابة ترتاح إليها النفوس ويسكن إليها القلوب ، فقد أودع الله في « منبج » مولد البحتري من روائع الجمال ما يجعل الشاعر يحن إليها حنين الأم إلى الرضيع ، كان فيها هواء لطيف وماء عذب وسلامة من كل داء ومرض ، النهار شمس والليل سحر .

يصفها عبد الملك بن صالح للرشيد فيقول : « عذبة الماء ، طيبة الهواء ، قليلة الأدواء ، والليل سحر كله » (١) ، وجاء في « الشوامخ » ما يلي ، وهو بيان لأهمية البيئة في تكوين نفسية الشاعر :

« لا شك أن للبيئة أثرها في تكوين شخصية الشعراء وخلق اتجاهاتهم ومذاهبهم في الشعر ، وعلى البيئة يقع بعض التبعة أو كلها في استنفاد مواهب جل الشعراء فيما لم يخلق الشعر له حتى أصبح أكثر الشعر العربي رأس مال « ميت » وفقد أدبنا القديم ثروة ضخمة كان يعتز بها » (٢) .

+ هو أبو عبادة البحتري ، الشاعر العباسي الشهير .
(١) الموازنة بين الشعراء ، لزكى مبارك : ص/٤٨ .
(٢) الشوامخ : ص/ ٤.

هذا عن المكان . وأما عن الزمان فمن الباهر الجلي أن العصر الأموي والعباسي كان عصر انتقال وتحول من مدنية وحضارة إلى مدنية وحضارة أخرى ، من نظام اجتماعي إلى آخر ، من شظف إلى ترف . ومن فقر إلى غنى ، ومن لغة إلى لغة ، فكان العلماء في العصر العباسي يحاولون الاحتفاظ بالتراث اللغوي ، يقول مؤلف الشوامخ ، الدكتور صبري :

« والواقع أن عصر الأمويين والعباسيين كان عصر انتقال وقلق ، انتقال في الحياة من عيشة البدو إلى عيشة الحضر ، انتقال في الدين وهو أكثر الانتقالات اضطراباً إذ تنتشر في أطرافه الفتن والملل والتعصب والإباحية والحقائق والأباطيل ، انتقال في النظام الاجتماعي بعد أن احتك العرب بمدنية الفرس والروم ، وكثر الأعاجم والأتراك في الجيش والإدارة واشتد النزاع بينهم وبين العرب ، انتقال من الشظف والخشونة إلى الترف ، انتقال في اللغة بعد انقراض العرب الأول وقصور اللغة في الاصطلاحات العلمية والفلسفية والإدارية الجديدة » (١) .

فنتج عن ذلك أن هذين العصرين لم يكن في وسعهما أن يحدثا انقلاباً مرجوا في الشعر العربي ويقدما حلا صحيحاً لقضاياه التي يعاني منها، أو يوجه الأدب العربي إلى جهة صحيحة من الرقى والازدهار ويبرز شعراء من نوع جديد يحملون راية التجديد والاختراع في المعاني والأساليب ويصورون بانتاجاتهم أدواء المجتمع الإنساني ويعالجوها معالجة دقيقة في ضوء ما يقولون ويقدمون من أدب وشعر ، ولكن بالأسف لم يكن كل ذلك ، فإن الشخصيات الشعرية لا تتكون في عصور

(١) الشوامخ ، البحتري : ص/٨-٩





الاضطراب والقلق والانحطاط ، اللهم إلا بعض الشوارد ، وأما ما نرى من البديع والمحسنات في هذه الأطوار فهي ليست من مظاهر التجديد بتاتا ، فمن اعتقدها تجديداً فهو في خطأ فاحش ، نعم إن الشاعر إذا لم يخضع في بيئة لعوامل الاضطراب والبلى بل ويتحداها بكل قوة وصرامة ويثور على التقاليد البالية بأسلوبه القوي الساحر ومغزاه الزاخر وروحه الثائرة السائرة على دروب الزمان والتطورات ، فهو الذي يحظى بشخصية قوية لا تخضع وهو الذي يستطيع أن يغير مجرى التاريخ وتيار الحياة ، وهو الذي يكسر الطوق والسلاسل وينشر جناحيه في الأفق يطير حراً طليقاً ، ولكن الأسف أن صاحبنا البحتري كان على عكس ما قلناه وآثر أن يبقى خاضعاً مستسلماً متقيداً بالتقاليد الجافة في الحياة الشعرية فلم يستطع أن يقدم للشعر العربي معاني جديدة وأساليب مبتكرة حية ، كان على نفس الطريق والدروب التي يسير عليها الشعراء العباسيون ، فنجد شعره لا يحيد عن الطرق المألوفة شأن الشعراء الآخرين . وهنا ننقل إليكم قطعة من كتاب « الشوامخ » :

« لذلك لا نبالغ إذا قلنا إن المؤلدين لم يحدثوا في الأدب والشعر الانقلاب التام المرجو ، وقد كان النثر عند الجاهليين - كما أثبتنا - رائعاً كشعرهم ، ثم ظهرت في أحاديث الرسول -ﷺ- وفي كتابات العصر الإسلامي الأول آيات بينات ، حتى إذا فسد الذوق وانتشرت صناعة الترسل في الاءدارة وغيرها وحدث الإسراف في السجع و رص الكلام وانحطت الكتابة وابتعدت عن الدقة » .

**أسلوب البحتري :** والمؤلف في هذه العصور عصور الاضطراب والانحطاط يعترف بوجود أمثلة رائعة ونماذج حية قوية للنثر والشعر، فيقول :

« على أن جل أساليب الكتابة في العصر الإسلامي هو أسلوب ابن القفع وكليلة دمنة كما أن أرقى أساليب الشعر هو أسلوب البحتري وهما فرسا رهان وماء يتحدر من غمام واحد ، وقد يكون أشبه أسلوب بأسلوبهما عند الأفرنج أسلوب أناتول فرانس » .

هذه إشارة إلى أسلوبه العذب الذي تيسر له في جو رقيق عاشه في بلدته « منبج » حيث كان فيها كل شئ يحسن ذوقه ويروعه ويلطفه ، فقد كان تربى في متعة ويسر ولذة وهناء وسرور على غرار ما يتربى وينشأ عليه أبناء الأمراء والخلفاء ، فجاء أسلوبه أسلوباً يتشابه أسلوب امرئ القيس ، ولا ريب أن سحره يتصل بسحر امرئ القيس ، فإن الملك الضليل قال في إحدى مناسباته :

تيممت العين التي عنـــد ضارج
يفيئ عليها الظل عرفضها طامي

وقال البحتري :

لم أوهم نعمتي تغدر بي غدرة الطفل سجا ثم انتقل

نعم هناك شبه بين هذين الشاعرين ، فقد حظى البحتري ببيئة رائعة طيبة الهواء ورائعة الطقس كما تمتع إمرؤ القيس بنعمة لاهية وترف وارف وظل ظليل من وسائل الراحة والاستجمام فأثرت بينهما تأثيراً مساوياً .

ينبغي لي بأن أقتبس هنا من كتاب « الشوامخ » قطعتين :

« وقد تمتع امرؤ القيس في شبابه بظلال الملك ، وتمتع البحتري بظلال (منبج) وهي موطنه فأرهفت هذه الظلال قوة الحس عند كل منهما فأصبحت تنطبع فيهما صور الحياة وأفراحها وأحزانها وأضدادها المتزاحمة فتنضج شعرهما قبل الأوان ، وأصبحنا نشم في ذلك الشعر





أرج النعيم ونلمح في خلاله دبيب الألم والمنى » .

القطعة الأخرى تبين أهمية أسلوب البحتري وتصوره ، تقول :

« البحتري أرقى الشعراء أسلوباً وأقواهم حسا وأوسعهم أفقاً وهو وإن كان في الظاهر لم يخرج عن أغراض الشعر وموضوعاته المرسومة من مديح وفخر وهجاء ورثاء و وصف إلا أن شخصيته القوية قد زحزحت هذه الحدود فخرجت منها لمحات واسعة نفاذة إلى آفاق الحياة » .

فأسلوب البحتري يتجلى فيه كل أثر من آثار العبقرية ، وكلما نظرنا إليه ظهر لنا فيه محاسن جديدة وروعة لا تنفد ، ومعظم شعره بلغ الغاية في الجودة وعلو الفن وقوة السبك ، وكان شعره يسمى سلاسل الذهب ، ولكنه بسهولته وصفائه لم يلتفت أحد إلى ما تشف عنه هذه السهولة من تعمق في الإحساس والتخيل والإبداع في تنسيق الألوان والأنغام ، وهذان البيتان يمثلان أسلوبه خير تمثيل :

بأن الشباب وكل شئ بائن و المرء مـــرتهن بما هو كائن
ظعنت به أيامه و شهوره إن المقيم على الحوادث ظاعن

المصراع الأخير أجمل تصوير لكر الأيام والليالي ، فكل إنسان يقضى حياته دون أن يشعر بأن الأرض تدور ، كذلك المقيم على الحوادث لا يحس بأنه ظاعن ، وله بيت آخر :

و الحقنى بالشيب في عقر داره
مناقل في عرض الشباب أسيرها

وهو تعبير جميل من تعبيرات البحتري الخالدة البعيدة المدى ، فهو يتضمن من قوة التركيز والتلميح ما لا يتوصل إليه إلا بعد جهد جهيد وإتعاب ذهن متمرس ، هذا من الميزات التي يتميز بها البحتري من المطلع الوضيئ ، و الرونق البهي ، و الطلاوة ، و الصقل ، و الجمال ،

والأشراقـــة .

**التصوير في شعر البحتري :**

غريزة المصور تتجلى في أسلوب البحتري وإن الألفاظ المستعملة السهلة قد لا يكون لها في الظاهر مدلول كبير ولكننا إذا أمعنا فيها النظر وجدناها تشف عن صورة حية متجسدة أخرجتها العبقرية من لا شئ .. وهذه القدرة التصويرية هي التي جعلت البحتري يرسم لنا ، حتى في صورة الهجاء تلك الصورة الهوائية الرفيعة (١) .

كان في « هولندا » رسام كبير اشتهر بفنه في نواحي الشرق والغرب فرسم عجوزاً يسكب اللبن في الإناء ، فجاء الرسم جميلا فيه روعة الحياة التي يخلقها الإلهام ، نراه فنحس كأن اللبن ينسكب في الإناء أمام أعيننا حقاً ، وقد صور شاعرنا البحتري بريشته الفنية صورة مثالية لرجل يهاب الموت ويتحير في أمره ، فتعالوا نر الصورة التي صورها البحتري :

تحيـــرَ في أمريه ثم تحببت
إليه الحياة ماؤها علل سكب
و لو كان حر النفس و العيش مدبـــر
لمات و طعم الموتْ في فمه عذب

أودع الله في هذا الكون من المناظر الطبيعية والروائع الجميلة ما يملأ هذا العالم الفسيح جمالاً ورواءاً ، نضارة وبهاءاً ، يرتاح إليها النفوس ويطمئن لها القلوب وينجذب إليها البشر بما فيها من سحر وروعة .

الإنسان يكد و يكدح في مضمار الحياة بين عشية وضحاها ، ويواصل

(١) الشوامخ .





سيره بالجد والنشاط حتى يبلغ منه التعب والإعياء مبلغه ، فيبحث عن راحة واستجمام ، فيحب مكاناً بين أحضان الطبيعة يسلم نفسه لها وهو يطير على جناح السرور فيتمتع بما ينال فيها من طمأنينة وقرار وسلوى وعزاء هكذا يستطيع أن ينجو من الآلام والمتاعب ويعيش لساعة من الزمن في صرح من الهدوء والقرار ، هذا مثل من يعيش على حقيقة من حقائق العالم متمثلة أمام عينه ، وهناك من يخلق جواً من الطبيعة والجمال بقوة مخيلته التي تخترع صوراً جديدة من الحياة التي رآها وتمتع بها ، فيتذوق أحلى كؤوس المتعة ويتحلق في سماواتها وأجوائها بأجنحة خيالية مخملية ، فهو أكثر استجماما ومتعة من الذي يشاهد الطبيعة بأم عينيه . فإن الشاعر بأخيلته يطير بين أرض الحقيقة وسمائها ، وكلما قوى حسه انطبعت صور الطبيعة في مخيلته رائعة جميلة يتمكن من إبرازها في أروع شكل وأجمل صورة . وإذا نظرنا إلى شعر البحتري وجدنا أن صور النعيم وسهولته ومائه تتحدر في أسلوبه . وقد عمر طويلا وقضى صباه في موطنه « منبج » (وهي خضراء من جميع النواحي) وتنقل بين البادية والحضر وأكثر من الأسفار في الشام والعراق وعاش في ظل التصور والرياض وقلب نظره في محاسن الأرض وجمالها ونادم الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة . وكان سمير المتوكل وصاحب الحظوة عنده (١) .

قال و هو يصف بركة الجعفري :

يا من رأي البركة الحسناء رؤيتها
و الآنسات إذا لاحت مغانيهـــا

(١) مستفاد من كتاب « الشوامخ » .

يحسبها أنها في فضل رتبتهـــا
تعد واحدة و البحر ثانيهـــــا

ما بال دجلة كالغيري تنافسهـــا
في الحسن طوراً و أطواراً تباهيهـا

تنصب فيها وفود الماء معجلـــة
كالخيل خارجة من حبل مجريها

كأنما الفضة البيضـــــاء سائلة
من السبائك تجري في مجاريهـــا

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا
مثل الجواشن مصقولا حواشيهـــا

محاجب الشمس أحياناً يضاحكهـا
وريق الغيث أحيـانـاً يباكيها

إذا النجوم تراءت في جوانبها
ليلا حسبت سماءاً ركبت فيهـا

يحب البحتري طبيعة الشام ومناظرها المتنوعة بين السهل والجبل والمرتفعات والمنخفضات ، وقد أعرفت له كل ناحية شرقاً وغرباً، من الذروة والوهد ومن البعد والكثب ، مجتمعة ومتفرقة ..

ولطالما تغنى شاعرنا بالماء بمدافع البحر (من بيروت أويافا) ومواقع الساجور ومنسجم الغمام والمنهل العذب ، ولطالما تغنى بالجبال والسحب في مختلف أشكالها وألوانها :

أما دمشق فقد أبدت محاسنهـــا
و قد وفـــي لك مطريها بما وعـــــدا





إذا أردت ملأت العين من بلـد
مستحسن و زمان يشبه البلـدا

يمسي السحاب على أجبالها فرقا
و يصبح النبت في صحرائها بدداً

## مقارنة لشعره بشعر أبي تمام والمتنبي :

يدلنا التاريخ الشعري على عبقريات في العصر العباسي ، وهي كانت تملك أعنة الشعر في عصورها وتقود الحركة الشعرية إبان نشاطها ، فهي في طليعة من منحوا للشعر والأدب ثروة زاخرة من الأفكار والأساليب والروائع البيانية ما كان لها صدى في جميع الأوساط العلمية والأدبية ، فاعترف بنبوغها الكتاب والأدباء والمؤرخون عبر القرون والأجيال ، وقاموا بجهود كثيرة في تصوير حياتها الشعرية وإبراز براعاتها الفنية ، ليكون هذا ضوءاً لامعاً للأجيال القادمة المشتغلة بالدراسة والبحث في مجالاتها العلمية والأدبية ، فرحمهم الله إذ قدموا لنا من الأبحاث والمقارنات والدراسات العلمية ما تيسر لنا به التوصل إلى أعماق الموضوعات والاطلاع على أسرارها ! فهذا أديب العربية ومؤرخها يتناول الثلاثة من الشعراء البارعين بوصف مميزاتهم الفنية وإبراز روائعهم الشعرية فأولا يصفهم بـ « لات الشعر ومناته » ثم يركز على خصائصهم الشعرية في سطور ، ولم يكن هذا إلا ناتجا عن فكرته لمتمرسة ودراسته المتمخضة عن آلاف من الصفحات وبحثه العميق الجدي الآخذ بجوانب شاملة من حياتهم ، فجاء وصفه هذا وصفاً دقيقاً أصيلاً ومقارنة جدية تبنى على فكرة قوية ونظر فاحص فلنقرأ وصفه بكلماته :

« أما أبو تمام فإنه رب معان وصيقل أذهان ، وقد شهد له بكل

معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر، ولقد مارست من الشعركل أول وأخير، ولم أقل ما أقوله إلا بعد التنقير ، فمن كشف عن غامض الشعر وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في البلاغة ما «قالت حذام» .

« وأما البحتري : فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى ، ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الاطلاق ، فبينا يكون في شظف نجد إذ يتشبث بريف العراق ، وسئل المتبنى عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري » ولعمري إنه أنصف في حكمه وأعرف بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن البحتري أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء في اللفظ المصوغ من سلافة ، فأدرك بذلك بعد المرام مع قربه إلى الأفهام وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بالنوادر الغالية ورقى في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية » .

« وأما المبتنى فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام ، فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قيادة ما أعطاه ، ولكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متأثما ولا منه متلثما ، وذاك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها حتى يظن أن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا ، فطريقه في ذلك تصل بسالكه ، وتقوم بعذر تاركه ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أداه إليه عيانه (١) .

هذا ، ومن الجدير بالذكر أن ابن الأثير ذكر أن المتبنى يتميز بالإبداع في وصف القتال ، إذن هو يجعل المتبنى في طليعة وصاف

(١) الشوامخ .





القتال ، وذلك رأى لا نوافقه عليه فإن المتبنى يبالغ في مثل هذه المواضع وهو ليس بوصف ، بل إنما الوصف أن يذكر الشاعر ما يراه ويصوره بريشته البارعة حقاً صادقاً أن يضيف إليه من الأكاذيب والأباطيل ما يقلل من أهميته وشأنه ، والمتبنى مصاب بهذا الداء العضال ، فلا يستحق أن يوصف برسام مبدع كما ذكره ابن الأثير ، فالرسم الدقيق هو من نصيب شاعرنا البحتري حيث يعتبر رساماً حاذقاً متنكباً عن طريق المغالاة ومتدرباً على درب الدقة والصواب .

يقول الثعالبي في البحتري :

« يضرب به المثل لأن الإجماع واقع على أنه في الشعر أطبع المحدثين والمؤلدين وأن كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة » .

وقال ابن رشيق :

« وأما البحتري فكان أملح صنعة من أبي تمام وأحسن مذهباً في الكلام يسلك فيه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة » .

ثم ينتهى الصبري بقوله الفصل :

« ولا يسعنا الآن بعد هذه النظرة العاجلة إلا القول بأن أبا عبادة قد ترك لنا بأسلوبه وحده كنزاً عظيماً من كنوز الجمال ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن عبقريته قد تجلت أيضاً في موضوعات خالدة تمت بسبب متين إلى شخصيته وحياته وعصره بل وإلى كل عصر ، ظهر لنا أن شاعرنا ليس من أمراء البيان في الشرق وحده بل من أمراء البيان في العالم أجمع ، وأن شعره ذخيرة من أنفس ذخائر العرب » (١) .

(١) الشوامخ .

رجل فقدناه :

# محدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي

## رحلاته العلمية

[الحلقة الخامسة] سعيد الأعظمي

في صبيحة يوم من الأيام لعام ١٣٦٩هـ المصادف ١٩٤٩م ، وكنت صغيراً أتابع دراستي في مدرسة مفتاح العلوم سمعت الناس يتحدثون أن « الشيخ الكبير» قد سافر إلى أداء فريضة الحج من غير إعلان ، وفي غاية من السرية ، وكان الخبر حقاً ، حاول كثير من تلاميذه والمعجبين به أن يلحقوه في الطريق ويتبركوا بتوديعه لهذه الرحلة المباركة ، ولكن دون جدوي ، فقد كان العلامة الأعظمي قد واصل سفره إلى بمبائ ، ومنها إلى الربوع المقدسة .

كانت هي رحلته الأولى التي قام بها باسم أداء فريضة الحج ، ولكنها لم تخل من إفاداته العلمية وأعماله التحقيقية ، وتم له اللقاء مع شخصيات علمية ودينية كبيرة في الحرمين الشريفين ، حيث تسنت له الإقامة إلى مدة ثلاثة أشهر تقريباً ، وعند ما شاع خبر عودته من الحرمين الشريفين وعلم الناس بموعد وصوله إلى بلدة « بنارس » ومنها إلى مئو ، سارع كثير من الناس وسافروا إلى بنارس ليستقبلوه ، واجتمع حشد عظيم من الجماهير المسلمة على محطة القطار في « مئو » وافترشوا محاجر عيونهم لاستقباله وبث أشواقهم وتقديم تهانيهم إليه ، على هذه السعادة التي أكرمه الله بها ، وقد تحدث العلامة الأعظمي أمامهم في المسجد الجامع الذي هو في حيّه بعد ما انتهى فيه من أداء ركعتين كتحية العودة المباركة من الحرمين ، وقال في حديثه الحافل بالعواطف : إنني أحمد





الله سبحانه وتعالى على هذه السعادة التي وفقني إليها ، وشرفني بها ، وإنني إذ أشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة الكبيرة واعتبر نفسي سعيداً بها أذكر والدي المرحوم الذي لم تكتب له سعادة الحج ، رغم تمنياته الكثيرة وانتقل إلى رحمة الله تعالى وفي نفسه حاجة لم يتمكن من قضائها ، فأرجو الله سبحانه أن لا يحرمه الأجرويثيبه على هذه الأمنية التي راودته إلى آخر أيام حياته ، ثم بكى ولم يتمالك نفسه ، وظلت وفود المسلمين من أنحاء مختلفة تأتيه لتقديم التهاني القلبية على هذه الرحلة السعيدة إلى أيام طويلة .

وكتب الله له بعد ذلك السفر رحلات عديدة إلى الربوع المقدسة للحج والزيارة ، وفي إحدى رحلاته التي قام بها للحج في السبعينات الميلادية تحقق له اللقاء مع كبار العلماء والعظماء الذين جمعهم الحج في المدينة المنورة ، ومن بينهم الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود - رحمه الله - الذي عرف بمكانته العلمية والدينية الرفيعة ، وكانت له ميزة خاصة تفرد بها بين أوساط العلماء في مصر يوم ذاك ، ولقد كان هو وكثير من علماء العالم الإسلامي نازلين في فندق عرفات وكان العلامة الأعظمي نازلاً في نفس هذا الفندق ، وهنالك في اجتماع يضم كبار علماء الإسلام من مصر والسعودية والهند وباكستان ، ذلك كالعلامة المفتي محمد حسنين مخلوف ، وسماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وفضيلة الشيخ العلامة محمد منظور النعماني ، تحدث الإمام الأكبر عن انطباعاته عن العلامة الأعظمي ومكانته العلمية الكبيرة في الحديث الشريف وفن الرجال ، فقال وهو يخاطب جماعة العلماء الحاضرين : « إنني أشهد أنه إذا كان في العالم كله من يستحق أن يلقب بالمحدث الأعظم ، فهذا هو ، مشيراً إلى شيخنا المحدث الأعظمي » .

وفي عام ١٩٦٩م قام العلامة الأعظمي بالرحلة إلى بيروت واستصحب

معه تلميذه النجيب الشيخ ضياء الحسن الأعظمي وكان يومئذ يدرس الحديث في جامعة مظهر العلوم في بلدة وارانسي -الهند- وذلك للاشراف على طباعة مصنف الإمام عبد الرزاق ، الذي تناوله بالتحقيق والتعليق ، وبذل مجهوداته الكبيرة في تصحيح الكتاب ، فأقام في بيروت برعاية الله تعالى وكان يساعده في تسهيل السكن والعمل فضيلة الشيخ زهير الشاويش صاحب المركز الإسلامي في بيروت .

خلال إقامته في بيروت إلى مدة شهرين ، سنحت له فرصة لزيارة صيدا، بعلبك ، حلب ، اللاذقية ، وجبلة ، وتمت له في كل منها مشاهدة الآثار وزيارة الرجال من العلماء الكبار ممن استفادوا منه في كثير من المشكلات العلمية ومسائل السنة والحديث والاسناد .

وقام برحلة علمية مستقلة إلى بلاد سوريا ، فزار دمشق ونزل ضيفاً على فضيلة الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني ، ثم زار حلب حيث استقبله العلماء الكبار والمسئولون عن التعليم والتربية بشئ كثير من الحب والإعجاب بشخصيته الفذة ، وفي هذه الرحلة ألقى دروساً في الحديث الشريف واستجازه كثير من العلماء وأصحاب الحديث ، فمنحهم إجازة في الحديث بسنده العالي .

وقد كان لبعض تلاميذه في حلب حظ في الاستفادة منه في الهند ، وزيارته في بلدته لمزيد من الاستفادة . أذكر منهم الشيخ عبد الوهاب زاهد الندوي والشيخ محمد سعيد البادنجكي الذي استفاد منه في علم الحديث ودرس في جامعة ندوة العلماء ، وهو الآن في المركز الإسلامي في مانجستر في بريطانيا . يقوم بالتعليم والتربية والدعوة : وقد زار العلامة الأعظمي حلب مرتين ، وأقام في الربوع السورية إلى مدة للافادة العلمية .

اشرفت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في الكويت على مشروع





وضع موسوعة فقهية برعاية من سعادة الدكتور الشيخ عبد الله العقيل مدير الشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف في الكويت سابقاً ، ومدير المجلس الأعلى للمساجد برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة حالياً ، وبإشراف من فضيلة الدكتور الشيخ عبد الستار أبو غدة الذي وجه دعوة الاسهام في هذا المشروع الفقهي بإيعاز من الدكتور العقيل ، إلى العلامة الأعظمي ، وطلب منه الإقامة في الكويت لمدة من الزمان لكي يطلع على هذا العمل الموسوعي ، ويشير على المسئولين بالاعدادات العلمية اللازمة لإنجاز المشروع ، فزار العلامة الأعظمي الكويت لهذا الغرض في السبعينات الميلادية ، واطلع على سير العمل هناك عن كثب ، وكان من مساهمته فيه أنه تحمل مسئولية كتاب الجنائز على غرار موسوعي ، وفعلاً أنجز هذا العمل وبعثه إلى مكتب الموسوعة الفقهية هناك .

ولما أقامت ندوة العلماء المهرجان التعليمي في عام ١٩٧٥م وجهت الدعوة للحضور فيه إلى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ، وكتب إليه سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء رسالة خاصة بهذا الخصوص ، فتكرم بقبول الدعوة وشرف المهرجان التعليمي بالقاء كلمة الرئاسة في الجلسة الافتتاحية ، وبالامامة في صلاة الجمعة وإلقاء خطبة الجمعة المستفيضة الضافية ، وكان في وفده المرافق له معالي الدكتور محمد حسين الذهبي - رحمه الله - وزير الأوقاف لجمهورية مصر العربية يوم ذاك .

اجتمع في هذا المهرجان التعليمي العلامة الأعظمي بفضيلة الإمام الأكبر ومعالي الدكتور الذهبي وقضى معهما وقتاً طيباً في مذاكرات علمية ودراسات حديثية كانت سبباً مزيداً للاطلاع على مكانة المحدث الأعظمي العلمية عن كثب ، وتوثق العلاقات العلمية بينهم ، ومع نهاية المهرجان سافر فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق إلى دهلي ومنها إلى ولاية

غجرات ، لزيارة المؤسسات العلمية ومشاهدة الآثار التاريخية هناك ، وكانت الجامعة الإسلامية تعليم الدين ، في دابيل - وهي على بعد عدة أميال من مدينة « سورت » - قد انتهزت هذه الفرصة و وجه عميدها فضيلة الشيخ محمد سعيد بزرغ - رحمه الله - دعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر لزيارة الجامعة وإفادة الطلاب والمدرسين هناك ، وسافر العلامة الأعظمي إلى دابيل على دعوة من عميد الجامعة ، وهناك تم اللقاء بينه وبين فضيلة الإمام الأكبر ومعالي وزير الأوقاف ، مرة ثانية فكانت مناسبة علمية غالية ، وفي أثناء أحد الاجتماعات العلمية ابدى معالي الدكتور محمد حسين الذهبي انطباعه نحو المحدث الأعظمي فقـــال : « أعتقد أنه ليس له مثيل في علم الحديث في كافة الهند » فعلق عليه فضيلة الإمام الأكبر قائلاً : بل في الدنيا كلها فيما نعلم » .

وفي عام ١٩٨٥م تلقى العلامة الأعظمي دعوة من شيخ الأزهر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق للحضور في المؤتمر الرابع للسيرة والسنة النبوية ، فعزم على السفر إلى القاهرة تلبية لهذه الدعوة الكريمة ، وسافر برفقة نجله الكبير فضيلة الشيخ رشيد أحمد الأعظمي واستقبلهما في مطار القاهرة المسئولون عن المؤتمر وأنزلوه في فندق ماريوت القاهرة ، ومن حسن حظى أنني كنت مدعواً كذلك في المؤتمر وسافرت بخط طيران آخر عن طريق كراتشي ، دبي ، وتشرفت باللقاء مع فضيلته صباح اليوم التالي في نفس الفندق ، فرأيته قد فرح بهذا اللقاء وسألني عن برامج المؤتمر ، وما هي إلا دقائق عدة إذ وصلت إليه جميع التفاصيل عن برامج المؤتمر ، وقد افتتحه فخامة الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق بكلمة قيمة كانت مدونة و وزعت على الحاضرين ، فكان افتتاحاً مباركاً .

استمر المؤتمر ثلاثة أيام عقدت خلال ذلك جلسات اللجان ، وفي إحدى





جلساتها التي رأسها سماحة الشيخ أحمد عبد العزيز آل مبارك - رحمه الله - رئيس القضاء الشرعي في أبوظبي ، ألقى شيخنا الكبير المحدث الأعظمي محاضرة قيمة حول الموضوع ، أثارت اعجاب الحاضرين ، فقد كان كثير منهم أبدى رغبته في زيارته وطلب موعداً لذلك ، وكانت غرفته في الفندق محطة للزائرين والمعجبين به والمستفيدين منه ، يأتون إليه من أنحاء بعيدة ومدن مختلفة .

وذات يوم زاره في الفندق معالي وزير الأوقاف المصري يوم ذاك معالي الدكتور محمد أحمدي أبو النور وجلس عنده طويلاً وتحدث معه حول القضايا العلمية والمشكلات الحديثية ، وطلب منه أن يشرفه في بيته ، ليتسني له الحديث وتبادل الأفكار معه .

وكان اليوم التالي لنهاية برامج المؤتمر العلمية برنامج جولة لجميع الضيوف ، قاموا فيها بزيارة مدينة الإسماعلية والتفرج في قناة السويس على متن البواخر التي كان المسئولون قد نظموها ، وتوجه الضيوف على باصات مريحة وتوجه شيخنا العلامة الأعظمي مع جماعة من كبار علماء المؤتمر فاستصحبني معه في نفس السيارة ، وكانت الجولة موفقة سنحت فيها فرصة اللقاء والتعارف مع أهل العلم والفضل .

وقد جاءته جماعة من العلماء الشباب وفي مقدمتهم الدكتور عبد الكريم من المنصورة وزملاؤه من طلبة العلم والدين والتفوا حول الشيخ الأعظمي يستفيدون منه في قضايا العلم والدعوة ، ومع نهاية المؤتمر سافر معهم إلى بعض الجهات الجميلة وزار المنصورة ، وأقام بينهم أياماً عديدة .

واشتاق إلى زيارة مكتبة الاسكندرية وأبدى رغبته لسعادة الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم وكيل الأزهر فوافق على ذلك بكل رحب وهيأ له السفر إلى الاسكندرية واتصل بمدير المكتبة لكي يهيئ للعلامة الأعظمي كل ما يحتاج إليه من الدراسة والمطالعة فيها ، وقدم إليه مفتاح

عمارته الخاصة في الاسكندرية للإقامة والاستراحة فيها ، وكان موقعها جميلاً رائعاً يطل على البحر .

وكان للمحدث الأعظمي بعض التلاميذ في السعودية العزيزة ممن حضروا إليه للاستفادة العلمية وأقاموا لديه مدة لا بأس بها ، فطلبوا منه زيارة المملكة والإقامة عندهم إلى مدة ، ونزولاً على رغبتهم ودعوتهم سافر العلامة الأعظمي إلى جدة بمرافقة العزيز نجله الكريم الشيخ رشيد أحمد الأعظمي ، وذلك في نوفمبر عام ١٩٨٧م ولعلها كانت هي الرحلة العلمية الأخيرة التي تشرف فيها بأداء العمرة وزيارة الحرمين الشريفين ، وقضاء وقت طيب فيهما ، ولا شك فإن ذلك مسك الختام لرحلاته التي قام بها في سبيل العلم والدين ، ونشر علوم السنة والحديث ، جزاه الله على المشاق التي تحملها في هذه الرحلات ابتغاء وجه الله فحسب .

ولقد اجتمع العلامة في هذه الرحلات مع كبار العلماء والشخصيات المرموقة في الدول الإسلامية العربية ، فمنهم من طلب منه الإجازة في رواية الحديث بسنده ، فأجازهم بذلك ، وهم كثيرون ولكن نذكر العلماء البارزين منهم :

١- فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة .

٢- فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري (دار الإفتاء - بالرياض) .

٣- فضيلة الشيخ حماد الأنصاري ، المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٤- الشيخ سعدي الهاشمي ، المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٥- أستاذ المقرئين فضيلة الشيخ عبد العزيز أبو عيون السود (حمص) .

٦- السيد صبحي السامرائي (بغداد) .

٧- الشيخ حمدي عبد المجيد ، محقق المعجم الكبير للطبراني (بغداد) .

٨- الأستاذ زهير الشاويش (بيروت) .





٩- الأستاذ عبد الستار أبو غدة (الكويت) .

١٠- الشيخ محمد علوي المالكي (مكة المكرمة) .

١١- الشيخ محمد عوامة (المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة) .

١٢- الشيخ نور الدين عتر (دمشق) .

١٣ الدكتور عبد الله الجبوري (مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض) .

١٤- الدكتور العلامة بشار عواد معروف (بغداد) .

و كثيرون سواهم .

أما الذين اجتمع بهم في الدول الإسلامية العربية وتبادل معهم الأفكار والآراء حول علوم الكتاب والسنة فهم كالآتي :

الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق . والمرحوم الشيخ بهجة البيطار . والشيخ عبد الله سراج الحلبي . والشيخ عبد العزيز بن باز . والشيخ محمد أمين الكتبي شيخ الحرم المكي سابقاً . والشيخ محمد المغربي المكي . والشيخ حسن مشاط . والشيخ محمد حسنين مخلوف . والشيخ عبد الرحمن اليماني مدير مكتبة الحرم . والعلامة خير الدين الزركلي . والأستاذ سعيد الأفغاني . والشيخ ناصر الدين الألباني . والشيخ سليمان الصنيع . والشيخ محمد علي الحركان حين كان قاضياً بجدة . والشيخ محمد أبو اليسر عابدين (في بيته بدمشق) . والشيخ مصطفى أحمد الزرقاء . والمفتي الأكبر الشيخ محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين . ومفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد . استقبله في دار الإفتاء استقبالاً حاراً ، وأهدى تأليفه « الشهيد في الإسلام » وكتب في هدائه : « مع أصدق التحية وأجمل التقدير إلى العلامة الكبير ، المحدث والمحقق الجليل الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي

-حفظه الله- ووفقه ». وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق . والدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم . والشيخ محمود محمد شاكر. والشيخ أحمد عبد العزيز آل مبارك . والدكتور يوسف القرضاوي . والدكتور إسماعيل عبد الخالق الدفتار. والدكتور صلاح الدين المنجد . والشيخ حمد الجاسر. والشيخ عبدالله العقيل . والشيخ عبد البديع صقر.

وللعلامة الأعظمي نجلان : أحدهما فضيلة الشيخ رشيد أحمد الأعظمي وهو مدير المعهد العالي للدراسات الإسلامية ومدرسة مرقاة العلوم التابعة له . وهو خريج جامعة مفتاح العلوم ومجود القرآن الكريم برواية حفص ، وقد أجاز له المرحوم العلامة زاهد الكوثري ، والمحدث الشيخ عبد الله الصديق الغماري .

وله من الأولاد : ١- أرشد رشيد الأعظمي : قد كمل دراسته في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . ٢- أزهر رشيد الأعظمي ، المبعوث من دار الإفتاء بالرياض ، للدعوة في الشارقة . ٣- أنور رشيد الأعظمي ، خريج جامعة أم القرى (مكة المكرمة) . ٤- راشد رشيد الأعظمي (قد أكمل دراسته في دارالعلوم بديوبند) وسوى ذلك ثلاثة أصغر سناً منهم ، يدرسون في الجامعات الإسلامية الأهلية في البلاد .

وأصغر أولاده الذكور المولوي سعيد أحمد ، تعلم الفارسية ، ومبادئ العربية ، ودرس نبذة من الفقه ثم مرض مرضاً منعه عن مواصلة الدراسة ، فانقطع ، و له ولدان تخرجا من الجامعات الأهلية في البلاد ، و الثالث لا يزال يتابع دراسته في المعهد العالي (بمئو) (١) .

.....

(١) في الجزء الأخير من هذا المقال استفدنا بعض المعلومات من مقال لفضيلة الشيخ محمد إلياس ، حول المحدث الأعظمي .



صور وأوضاع :

# موقف جديد للاعلام إزاء مآسي المسلمين

واضح رشيد الندوي

كان من بواعث الاستبشار ، والتفاؤل في الفترة الأخيرة التي أصيب فيها المسلمون بمحن وكوارث في مختلف أنحاء العالم ، وبصفة خاصة في الهند ، ومنطقة يوغوسلافيا السابقة ، والصومال ، وفلسطين المغتصبة .

كان المنكوبون في هذه المآسي الإنسانية من المسلمين ، فقد كانت مأساة الصومال نتيجة للحرب الأهلية بين المسلمين أنفسهم وحدثت بسبب العصبيات القبلية والثورة السياسية ضد نظام مستبد ، وكان الفريقان من المسلمين ، كانت مآسي الهند والبوسنة والهرسك ، وإسرائيل ، حدثت لتعنت المتطرفين من غير المسلمين ، وكانت النزعة الدينية والقومية وراء هذه المآسي الثلاث ، ولكن الرأى العالمي ثار ضد هذه المعاملة غير الإنسانية لأول مرة في التاريخ المعاصر ، وقام بادانة مرتكبى هذه الجرائم ، بغض النظر عن الدين ، والقومية ، وهو أمر يستحق الاعتراف والتقدير .

لقد قامت الصحافة العالمية وهي مسيحية أو يهودية والصحافة الهندية وهي منبثقة من الدوائر الرأسمالية والبيوتات التجارية الكبرى ، يسيطر عليها افراد الطبقات العليا من الهندوس ، بتغطية هذه الأحداث المؤلمة وأعربت عن استنكارها الشديد ، ولم يسمح للأحداث بأن تمر مراً سريعاً، أو تبقى سراً من الأسرار ، لتنكشف بعد سنين طوال ، كما يحدث عادة في الأحداث العالمية الكبرى ، حيث تكون الضحية من الضعفاء .

كانت تجربة المسلمين مع الاعلام في الماضي سواء كان هندياً ، أم كان

عالمياً تجربة سيئة للغاية ، وقد كان الاعلام الهندي بصفة خاصة يتخذ موقف الانحياز التام إلى مرتكبى الجرائم كما كان جهاز الأمن من الهند متهما في ذلك ، فكان المسلمون مستهدفين للظلم من الجوانب الثلاثة ، من المتطرفين من الأغلبية ، ومن الاعلام الذي كان إما يغفل هذه الأحداث أو يقدم صورة مقلوبة لها ، ويؤقف المسلمين في قفص الاتهام وتنشر تقارير ملفقة ، وأحياناً كانت التقارير الاعلامية المضللة هي السبب المباشر للحوادث الدامية ، وقد حدثت عدة حوادث دامية بروايات كاذبة نشرتها الصحف .

فكان دور الاعلام وفيه الاذاعة ، دوراً مضللاً مثيراً ، وقد أثارت الصحف الشحناء والكراهية بين مختلف الطوائف ، وقامت بتضليل الرأى العام وكانت تقارير الصحف المضللة تؤثر على أذهان السذج أو المعتدلين من الهندوس الذين كانوا يتأثرون ويغيرون موقفهم ازاء المسلمين ، ويعتبرونهم مثيري الفتنة .

كذلك كان الاعلام العالمي ، وهو خاضع للنفوذ الصهيوني ، ويسيطر الرأسماليون اليهود على كثير من وكالات الأنباء العالمية ، والإذاعات ، والصحف ، والدوريات التي تقوم بتكوين الرأى العام العالمي ، كان هذا الاعلام يقوم بتغطية الأحداث في العالم الإسلامي تغطية لا يحصل المسلمون بها على العطف ، والرحمة ، ولا يلتفت إليهم الضمير الإنساني ، فكانت محن المسلمين ونكباتهم لا تحدث في قلب الإنسان عاطفة إنسانية ، بل كانت تغطية هذه الوسائل للأحداث في العالم الإسلامي تنفر عن المسلمين ، وتحدث في قلب القراء والسامعين اشمئزازاً .

كان موقف الاعلام بالنسبة للأحداث الأخيرة موقفاً متغيراً ، انه كان موقفاً واقعياً ، وإعلامياً ، باستثناءات قليلة ، وقد عرض الإعلام هذه القضايا عرضاً إعلامياً ، أبرز فيه معاناة المسلمين ، وشقاءهم ، و وحشية





المرتكبين للجرائم ، وهم من أنفسهم وبنى جلدتهم ، وأظهر المسلمين في هذه الأحداث لأول مرة مضطهدين ، مستضعفين ، ومن طبيعة الإنسان أنه يرق له قلبه لمعاناة شخص وشقائه إذا كان إنساناً في الواقع .

لقد كسب اليهود كثيراً بعرض قضيتهم كمظلومين فإنهم عرضوا قضيتهم بأنهم مضطهدون ، لا مأوي لهم ولا وطن ، وانهم عذّبوا في ألمانيا على أساس التمييز العنصري في عهد النازيين ، فلانت لهم القلوب في أوربا كلها ، وحققوا كثيراً من أهدافهم على أساس هذين العنصرين ، ولا تزال هذه الاستراتيجية تدر لهم وتجديهم نفعاً كبيراً ، ثم إنهم يفخمون كل حادثة تقع لليهود ويبرزون هذه الجريمة ليبرروا عملية الانتقام .

كان حملة الأقلام قبل هذه الأحداث العالمية التي ظهرت فيها معاناة المسلمين بجلاء ، يقدمون المسلمين كأمة استبداد وظلم ، وجور وإكراه ، وكانوا يبرزون جانب الإكراه ، والبطش ، وكانوا يصفون الدين الإسلامي بدين السيف ، ويعرضون حياة الرسول -ﷺ- بطريق يظهر فيه كحامل السيف ، وتخفي في هذا العرض سيرته الطيبة ، وشمائله وإنسانيته ورأفته ، فكانوا يغفلون كل ما قام به المسلمون خلال حكمهم من إصلاحات ، وما عمروه من مدنيات ، وما أنشأوه من مراكز الحكمة والعلم ، وما أفادوا به الإنسانية ، فكان هؤلآء الكتاب والمحللون يخوفون العالم بالمسلمين ، وقد وصف هؤلآء الكتاب المسلمين بالعصبية ، والقبلية ، والتمييز على أساس العقيدة ، كما وصفوهم باضطهاد المرأة ، وعداء العلم والمدنية .

لقد انقلبت الصورة في الأحداث الأخيرة التي عاني منها المسلمون ، وظهر لهؤلآء الكتاب أن المسلمين هم في الواقع عرضة للظلم والاستبداد وأن الإسلام الذي اتهموه يحمل السيف ، رقبته هو تحت سيف غير المسلمين ، وأن الذين كانوا يدعون بالأمن ، والمحبة ، والإنسانية والحضارة ، هم الذين يحملون الكراهية ، والعداء ، ويرتكبون جرائم

وحشية ويبيدون ، ويدمرون ، ويقتلون الأطفال والنساء ، وينتهكون الحرمات ، ويهدمون المعابد ، ويسيئون إلى المقدسات ويحرقون الكتب الدينية ، ويتلفون المكتبات ، باسم الدين .

أ ليس من الواقع أن الذين يرتكبون القتل ويدمرون ويحرقون ، يفعلون ذلك باسم النصرانية في يوغوسلافيا ، وأن الذين يرتكبون هذه الجرائم في الهند يفعلون ذلك باسم الهندوسية ، وكذلك اليهود يفعلون ذلك باسم اليهودية ، وعلماؤهم يناصرونهم في ارتكاب هذه الجرائم ، ونساكهم وسدنة معابدهم يبررون هذه الجرائم .

إن المسلمين في البوسنة والهرسك ، أوربيون ، لا يميزهم عن الصرب ، والكروات إلا أنهم مسلمون ، فلماذا يخرجون من بلادهم ولماذا يقتلون ، ولا يخفى ذلك على أحد ، فإن زعيم الصرب قال بنفسه إن هذه الحرب حرب دينية ، وأنه لن يترك أي مسلم في أوربا .

كذلك يطالب المسلمون في الهند من قبل المتطرفين بأن يندمجوا إلى الهندوسية ، ويعبدوا إلههم ويقدسوا أمجادهم وقد صرح بذلك زعيم شيو سينا ويقول ذلك زعماء وشو هندو پريشد بأنه لا مكان للمسلمين في الهند إلا أن يكونوا هندوساً ، وهم يصرحون أن هدفهم هو إنشاء دولة هندوكية .

فمن يواجه الإكراه ، ومن يضطهد لدينه ، وعقيدته ، ولماذا يواجه ؟ لقد تجاوز التطرف الصليبي ، والصهيوني والهندوكي ، جميع الحدود ، والقياسات ، وارتكبت جرائم لم يعد الاعلام العالمي يحتملها .

كان الإعلام الهندي أحسن في هذا الاعتراف بالواقع من الاعلام العالمي ، فإنه تبنى قضية هدم المسجد البابري ، والاضطرابات ، وقام بإبراز خطورة الحركات المتطرفة ، التي تدعو إلى تهنيد الهند ، ولم يقدم مقالات وتحليلات فحسب بل نشر رسائل من القراء ، وهم من الأغلبية الهندوسية في استنكار ما حدث ، ويدل هذا التطور على أن الإنسانية لم





تفقد ضميرها الإنساني ، وعلى أن هناك قلوباً نابضة حية ، وعواطف إنسانية نبيلة ، تلتمس الحق ، وترفع صوت الحق ، ويدل على هذا الاتجاه عقد الاجتماعات الضخمة في مختلف أنحاء البلاد ، لاستنكار التطرف الديني في الهند ، واشتراك زعماء من الأغلبية الهندوسية فيها .

وكان هذا التطور هو الذي شجع سماحة الشيخ الندوي على أن يقوم بحركة تشتمل على رجال جميع الطوائف والديانات للتركيز على القيم الإنسانية ، ولإيجاد ذهن وعقلية ينظر فيها إلى الأحداث بنظرة إنسانية .

كان موقف الاعلام الإيجابي ازاء الأحداث في الهند ، موقف ادانة المتطرفين ، وتجاوز هذا الموقف إلى حد استكار حركة « هندوتا » التي تهدف إلى السيطرة الهندوسية الكاملة وإنشاء دولة هندوكية ومحو جميع آثار العهد الإسلامي ، وشارك في هذه الادانة كبار الصحفيين ، فكان هذا الموقف دافعاً للحكومة إلى اتخاذ موقف معارضة هذه العناصر في سياستها الظاهرة ، وإن كان بعض زعمائها يعطفون قلبياً على هذه الحركة .

كذلك كان موقف الاعلام فيما يتعلق بالمبعدين الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون في القيام فوق الجبال المغطاة بالثلوج ، فنقل الاعلام أحوالهم البائسة ، ولفت أنظار العالم إليهم و وصف كيف يقضون أوقاتهم في العبادة ، والتعليم ، والدعاء ، وكيف يواجهون هذه الظروف القاسية بالصبر والحلم ، فأوجد في القلوب عواطف الرحمة ، ومشاعر العظمة لهم ، و واجهت إسرائيل ضغطاً سياسياً عالمياً على هذه المسألة ، واضطرها الرأى العام على النظر في القضية .

هذه بعض بوارق الأمل ، وإذا تغير موقف الاعلام العالمي وأصبح إيجابياً ، وإذا كان المسلمون يتمسكون بالصبر والحكمة والرشد في سلوكهم ، فإن قضاياهم ستجد طريقاً للحل في وقت قريب .

.....

بسم الله الرحمن الرحيم

# إلى رحمة الله تعالى

فجعت أسرة ندوة العلماء وعلى رأسها سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي بنبأ وفاة الأقربين من ذوى القربى لآل سيف وعبد الله الغرير بدبي ، في حادث اصطدام مفاجئ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وهما سعادة الشيخ سلطان بن سرور الظاهري وسعادة الشيخ سعيد بن سلطان الظاهري - رحمهما الله - ، وقد كانا من أقرب الأقرباء لمعالي الشيخ سيف أحمد الغرير بوجه خاص وكانت صدمة الحادث عنيفة عليه وعلى عائلته جميعاً ، فندعو الله سبحانه وتعالى أن يخفف عنه الألم ، ويكرمه بالأجر الجزيل و الصبر الجميل على قضاء الله ، و الرضا بالقدر ولا راد لقضاء الله تعالى وقدره .

وقد بعثنا إليه برسالة تعزية على الحادث ، فرد عليها بما يأتي :

« تلقينا رسالتكم المعزية لنا في وفاة الأخوين الشيخ سلطان بن سرور الظاهري والشيخ سعيد بن سلطان الظاهري تغمدها الله بواسع رحمته ، إن ذلك أمر الله على الجميع ولاراد لأمره وقضائه وعلينا أن نتقبله بإيمان وعقيدة راسخة ، لأننا لا نملك من أمرنا شيئاً ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يسكنهم فسيح جناته وأن يلهمنا وأهله وذويه الصبر والسلوان .

سلامنا إلى سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي شاكرين تعزيته ومواساته وجزاه الله خير الجزاء ونرجو ألا ينسانا في دعواته بأن يرحمنا الله وأن يرحم أمواتنا ، إنه نعم المولى ونعم المجيب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته




## اقرأوا كتاب :

## رسائـــل الأعـــــلام

مجموع رسائل لكبار العلماء ، و قادة الفكر و الزعماء ، و المؤلفين و الأدباء ، و الكتاب الاسلاميين الأصدقاء ، و بعض الملوك و الأمراء و الوزراء فى العالم العربى ،

سبعون رسالة لخمسين كاتباً مرموقاً

كتبت و وجهت إلى سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى أمين ندوة العلماء العام ، و رئيس المجمع الاسلامى العلمى فى لكهنؤ (الهند) فى الفترة ما بين

١٣٦٧هـ ـــــــ ١٤٠٤هـ

إخراج و تقـــديم

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى

عميـــد كلية اللغة العربية و آدابها ، جامعة ندوة العلماء لكهنؤ ( الهنـــد )

يطلب الكتاب : من مكتبة دار العلوم لندوة العلماء ص . ب ٩٣ لكنؤ ( الهنـــد )